المرأة المسلمة
قناديل وأنوار

تأليف
الدكتور / أشرف عبد الرحمن

دار السنة الصحيحة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وقبل الدخول

- إِلَى كُلِّ مؤمنةٍ: تُحِبّ ربّها... ترجو رحمتَه، وتَخْشَى عَذَابه.

- إلى كُلّ طالبةٍ للحقيقة وللحقّ معًا أُقَدّمُ هذه الكلمات:

- انْطَلاقًا من قولِه سُبْحَانه ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٧١].

- اقتداءً بقوله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١).

- رغبةً في الأخذِ بيدك – أختاه – إلى عالمِ الخيْرِ والفضْل.

- طمعًا في أن ترتدي الحجاب عن حبٍ وشوقٍ لا عن عاطفةٍ وقتية، وعادةٍ موروثة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

- حرصًا على أن تعرفي المفهوم الحق للحجاب وأنه سلوك وخلقٌ رشيد قبل أن يكون هيئةً ومظهرًا.

إِلَى مَنْ ضَلَّتْ الطريق.... وتَاهَتْ عن السّبيل....

ها هي ملامِحُ النّجاة... وراياتُ الخَيْرِ.... وأصواتُ الهدَى...

تهتفُ مناديةً: ﴿إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ [الأنعام: ٧١]...

نذيرًا يُنَبّه، ناصحًا يُشْفِق، وأملًا في خير، وحبًّا في هداية، وطَمَعًا في تستر، وخوفًا من قول القائل: «حَرَامٌ على قَلْبٍ أَنْ يَدْخَلَه النّورُ وفيه شيءٌ مما يكْرهُه المولى سُبْحَانه».

فأَقْبلي أُخْتاه... وأعيني نَفْسَك ولا تعيني عليها وسلي الله سبحانه أن يجعلَ في قلوبنا نُورًا نهتدي به إليه، وإيمانًا نُحْسِنُ به الثباتَ على الحق، وقَلبًا يعرفُ الهُدَى ويعيشُ عليه، وعقلًا يُبصِرُ النور ويدعو إليه، فاللَّهُمَّ أعْطِنَا مغفرةً ورضْوانا، وجنةً ونعيمًا، وتقبلْ مِنَّا إنكَ أنْتَ السَّميعُ العليم.

وكتبه

د/ أشرف عبد الرحمن

المقدمة

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاةُ والسّلامُ على خيْرِ الخلْقِ محمدٍ ﷺ وعَلَى آله وصَحْبِه الكرام...

وبعـــدُ:

أبدأ باسْمه سُبْحَانه طامعًا في كرمه، وسُكْنَى دار كرامته. ومَالَنَا لا نطمعُ في الجنَّةِ، وفيها «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ...» كما أخبر الحبيب ﷺ (١)؟!

- ومَا لَنا لا نَرْجُو دارًا أَعَدّها الرحْمنُ لأوليائِه، وزيّنها لعباده؟!
- ومَا لَنا لا نضعُها دومًا أمام أعيننا..كي تهونَ علينا الصعابُ وتُحبّب إلينا الطاعاتُ..؟!
- ومَا لَنا لا ندعو الله بها ليلًا ونهارًا لننالَ بشارةَ نبيّنا ﷺ (مَنْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنْ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ. اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ النَّارِ)(٢)؟

---

(١) البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه: الترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٨/ ٢٧٩)، وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٥٤).

فَيا أُخْتَاه

أَلَا تَشْتاقين لتكُوني مِنْ أهْلِ الجنّة؟

أَلَا تحبين أن تكُوني ممنْ وصَفَهم النبيّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(1)؟!

أَلَا تتمنين رؤيةَ العزيز سُبْحانه كما بَشّرك النبي ﷺ «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئًا أزيدكم؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، ألمْ تدخلنا الْجَنَّةَ، وتنجنا مِنَ النَّارِ ؟» قَالَ: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فما أعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظرِ إلى ربِّهم عَزَّ وجَلَّ»(2).

* * *

(1) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) مسلم (١٨١) من حديث صهيب بن سنان.

وأقُولُ لَك:

❋ مَا الَّذي يسْتَحِقُّ أن نبيعَ الجنّةَ به؟

❋ ما الذي يُسَاويها أو يُدانيها مكانةً... وسعادةً... وراحةً كي نُضحّى بها؟

❋ ما الّذي يَسْتَحِقُّ حرقَ شعرك، وأكْل جَسَدك وتَدْمير جمالك.. في نارٍ وقُودُها النّاسُ والحجارة؟

ألم يصلْك قولُه ﷺ في الحديث وفيه: وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّه أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُل مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وإذا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فلا يَرْجِعُ إليه حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ به المَرَّةَ الْأُولَى...». قال: فلما سأل النبي ﷺ جبريل عليه السلام قال: «أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الذي أَتَيْتَ عليه يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فإنه الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عن الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ»[1].

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب.

ألا تتدبرين؟

رجلٌ تُهَشِّمُ الصخرةُ رَأْسَه؛ لأنه كَاَن يرفضُ القرآنَ!! فتدبري حالك، مولاك أمرك بالحجاب.. فَلَمْ تسمعي؟ ونَاداك لطاعته... فَلَمْ تلبي؟

ألكِ طاقةٌ على عَذَابه؟

أعندك قدرةٌ على تَحمّل الحرق في نارٍ وقودُها النَّاسُ والحجارة؟

أولم تسمعي قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١]؟!

باللهِ عليك: مَاذَا صنعَ معك المولى سبحانه حتى تجْحَدي أَمْرَه؟!.

كَمْ عَصَيْتِ وسترك؟ كَمْ أَذْنبتِ وأَمْهَلَك؟ كَمْ خَالفتِ وأَنْعَم عليكِ؟.

لِحَـــــدّ الــــــركبتين تُــــــشَمِّرينا ... بِرَبِّــــكِ أيَّ نهــــرِ تَعْبُرِينـــــا؟

كــــأنَّ الثـــوبَ ظِـــلٌّ في صَـــبَاحٍ ... يزيــــدُ تَقَلُّـــصًا حِينًـــا فَحِينَـــا

تَظُنِّـــينَ الرجـــالَ بِـــلَا شـــعورٍ ... لأنّـــكِ ربّمـــا لا تَـــشْعُرِينا

أُخْتَـاه:

مَاذَا تَنْتَظِـرين...؟

* أتنتظرين لبسَ حجابك عنْدَ نـزولِ قبرك؟! ويا لهوله!!
فيه يزولُ عنك كُلّ مكياج وعطر، كل زينة وإكسسوار.
هنا: أين مَنْ شَجّعوك على مخالفةِ مَوْلَاك؟
أَيْنَ الّذين أعجبهم قوامُك وشَعْرُك؟
أينَ صُحبتك؟ أينَ أحْبَابُك؟
تركُوك في ظلمة القبر بلَا رفيقٍ أَو أنيسٍ إلا عملك.

* هُنا يزولُ شعرُك الذي تزيّنْتِ به.

* هُنا يُؤْكَلُ جَسَدُك الّذي غَرّك وصَدّك عن أمر الله.

وأَسْأَلُك:

- لو أنّ ملكَ الموتِ أتاك ليقبضَ روحَك
..... أَكَانَ يسُرّك لقاه عَلَى ما تَلْبسين؟

- لو أنّك أدْخلْت في قَبْرك وجلسْتِ للسّؤال
..... أَكَانَ يسُرّك تذكّر ما كُنْتِ تلبسين؟

- لو أنَّ النَّاسَ أُعطُوا كتابهم باليمين وأنتِ في حيْرِة لا تدْرين ما يُصْنَعُ بك

...... أَكَان يسُرّك تذكّر ما كُنْتِ تلبسين؟

- لو أنّك وقَفْتِ بين يَدَيّ الله للحسَاب والمساءلة

..... أَكَان يسُرّك ما كُنْتِ تلبسين؟

- ورحم الله الغزالي: «لو أنّ يهوديًّا أخبرك في ألذّ أطعمتك أنه يضُرك في مرضك لتركته وابتعدت عنه، أفيكونُ قولُ الله سبحانه وقولُ نبيه ﷺ أقلّ عندك تأثيرًا من قولِ يهوديٍّ يعلمُ قليلًا ويجهل كثيرًا»(١).

أختاه: انهضي فمولاك يناديك بقوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

والنبيُّ ﷺ بَشّرك «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢).

أفبعد هذه البشريات تتكاسلين، ولا تنهضين؟!

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٤٢٣.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٧٥٩ من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

أُخْتَاه:

- أسالُكِ: أأنتِ أَمَةٌ لله وعبدٌ له أم لمن؟

مَنْ الأَدْرَى بما يصلح؟

ومَنْ الأرحمُ بما خلق؟

* هَلْ أنتِ واثقةٌ في وعْدِ الله ووعيدِه؟..

* هَلْ أنتِ واثقةٌ أنّ عمرك بيدِه سُبْحَانه؟..

* هَلْ أنتِ واثقةٌ أنّ كُلّ شيءٍ بيده عَزّ وجل؟...

* هَلْ أنتِ واثقةٌ أنّ الله لا يأمُرك بسوء؟.

* هَلْ أنتِ واثقةٌ أنه سُبْحَانه لا يتخلّى عن عباده الصالحين؟

* هَلْ أنتِ واثقةٌ أنّ القرآنَ هو خيرُ هدىٍ وأفْضَلُ تشريع؟

أَسْمعك: تقولين – نعم –.

هذا قولُك لكن فعلك يهدمه..

سلوكك يخالفه..

مظهرك ينقضه.

نَبْنِى من الأقوالِ قَصْرًا شامخًا... والفعل دونَ الشامخاتِ رُكَام.

هَلْ تؤمنين بالله حقًّا؟ هل تَعْرفين معنى أنه خالقُ كُلّ شيء... وأنّه خالقكِ أنتِ؟

فما أثرُ ذلك عليك؟ وما دليلُ إيمانك؟

واعجبًا!! يتحبَّبُ إليك ربّك وهو عنك غنيّ.

إن تأخّرتِ قَرَّبك.... وإن أذنبتِ سَتَرك..

ومع ذلك: تخالفين الأمرَ، وتهجرين الحقّ!!.

- **كَذِبٌ عَلَى اللَّه:** أن تَدّعي حُبّ الله دون أن يظهرَ ذلك في خُضُوعك والتزامك.

كَذِبٌ عَلَى اللَّه: أن تزعمي حُبّ الرسول ﷺ، وأنت تُضَيّعين سنّته وتُفَرّطين في ميراثه، وتَسْلُكين غَيْر سبيلِه.

كَذِبٌ عَلَى اللَّه: أن يكونَ مكتوبًا في شهاداتك مسلمة، ثم أنتِ بين الميلاد والوفاة لا تحملين من الإِسْلام إلا اسْمَه، ولا تعرفين من الشرع إلا رَسْمَه.

كَذِبٌ عَلَى اللَّه: أَنْ تقولي: أنا مؤمنةٌ أخافُ الله ولا تفعلي فعلَ الخائفة من ربها.

- ما أقبحَ هذا الكذبَ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٣٢].

واللهِ ليس بيني وبينك إلا الحقّ... وحُب الخيرِ وإرادة الجنة لك..

لأن طلبَ الجنة بلا طاعة الله ذنب.. وتمنيّ شفاعة الرسول بلا اهتداء بهديه غرور وحمق.

* * *

حكمة

قال محمد بن الحنفية: «إنّ أبْدَانَكُم ليسَ لَها ثمنُ إلَّا الجنّة فلا تبيعوها إلا بها»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد (٣٠٤).

مَفَاهِيمٌ يجبُ مَعْرفتُها

أولًا: لفظةُ الحجاب:

لقد وَرَدَتْ كلمةُ الحجاب في ثمانية مواضع من القرآن الكريم وكُلّها تدورُ حول السّتر والمنع كما في قوله تعالي: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ فالحجابُ إذًا هو كل ما يستر المرأة المسلمة عن نظر الرجالِ الأجانب.

وهو أنواعٌ:

١- حجَابُ الجسدِ داخل البيت وعدم الظهورِ للرجال إلَّا في الضّرورة كما في قوله سُبْحَانه: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾.

٢- حجَابُ البدن وذلك بارتداء الزيّ الشرعيّ الّذي أَمَرنا اللهُ عزَّ وجلَّ به.

٣- حجَابُ الصوتِ عن مسامعِ الرجل الأجنبي امتثالًا لقوله سبحانه ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ وذلك بألَّا ترقّق المسلمةُ صوتَها عند التحدّث مع الرجال الأجانب حتى لا تحركَ مشاعرهم تجاهها.

٤- حجابُ الزينة والذهب ونحو ذلك امتثالًا لقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾.

والزينة: كُلّ ما تتزين به المرأة خارج جسدها وأعضائها مثل الحُلى، ولقد ورد لفظُ الزينة في القرآن مقصودًا به الزينة الخارجة عن الأصل مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وغيرها كثير.

وكذلك يدخل في الزينة قوله ﷺ (أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ)[١].

٥- حِجَابُ الأفعالِ والحركات لئلا تثيرُ غيرَها وتُحرّكَ نوازعَ الشّر فيه.

ثانيًا: لفظة الخمار:

وهو كل ما تخَمّر به المرأةُ جسدَها كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ وكما في قول عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك (فَخَمّرتُ وجهي)[٢]. وفي رواية

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٧٥)، والترمذي (٢٧٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٩٤١).

(٢) البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة.

(فسترتُ وَجْهِي)[1].

ثالثًا: لفظة النقاب:

سُمِّيَ غطاءُ الوجه بهذا لوجود نقْبين لتتعرفَ المرأةُ من خلالهما على الطّريق (على خلاف بين العلماء في حكم تغطية الوجه).

رابعًا: لفظة الجلباب:

بكسر الجيم، قيل: هو الإزار والرداء، وقيل: الملحفة، وقيل: المقنعة تغطي بها المرأةُ رأسَها وظهرها، وقيل: هو الخمار.

خامسًا: لفظة التّبَرّج :

ويراد به: إظهارُ المرأةِ لزينتها ومحاسنها والتبخترُ في مشيتها، فكلّ لباسٍ تلبسه المرأةُ في غير بيتها مثل الشّفاف والضيّق والقصير والخفيف وكل ما يكشفُ عورتها ويهتكُ سترها كالبناطيل الضيقة و(الميني جيب والميكروجيب) والكاشفة للذراعين والصدر والعنق والساق، وما يُشْبه ملابسَ الرجال وملابس الكافرات، كُلّ هذا من التبرج المُحَرّم بنص القرآن الكريم ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

---

(١) هذه رواية الطبراني في المعجم الكبير (١٦/ رقم ١٨٦٧٦).

مظاهر التبرج

١- التّعَرّي: وهو عنوانٌ يشملُ تحته الموضة بأنواعها وكافة الثَّقافات التي تركّز على الجسدِ العاري هنا أو هناك.

وتتنوعُ فنونُ الموضة الكاشفة وتتجدد؛ إغراءً للضّعاف واستدعاءً للنَّظَر، وخداعًا للمرأة بزعم أن هذه حرية!!

وثقافة العُرْى هذه هدفُها إشغالُ المرأة عن كلِّ إيجابية، وسَلْبُ تفكيرها إلى تفاهاتٍ لا نهايةَ لها.

٢- الِكسَاءُ العَاري: فهناك لباسٌ يسترُ لكنه يكشِفُ عما تحته إمّا لأنه شفافٌ أو ضَيّق أو غيرُ ساترٍ للعورة.

٣- الخُضُوع بالقول: لأنَّ في الصوتِ الناعمِ والمتغنج إثارةً للطمع في القلوب.

٤- العُطُور والروائح: أثبتتْ الأبحاثُ العلمية أن للروائح دورًا في إثارة الجنس، وهذا أمرٌ لا بأسَ به في العلاقة الزوجية، لكنه لا يتناسبُ مع الحياة العامة، لذا جاءَ التحذيرُ على لسان النبي ﷺ- حتى عند ذهابها للمساجد- فقد قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فلا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٤٧) من حديث أبي هريرة.

أَرْبَاحَ الصفقة

تمهيد :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة ١١١].

أختاه: حجابك صفقة، فيها بيعٌ وشراء، مع أنّ الله هو المَالِكُ الحق، ولكنه المنعم المتفضّل.

وثمن حجابك: الجنة. لا دنيا.. ولا جاه.. ولا مال.. ولا سلطان..

الجنة: ليستقيمَ الميزانُ... ويتّضحَ المنهج.. ويطمئنَ القلبُ، فهذا وعدُ الملك الحقّ لمن يطيعه.

إنَّ أولَ حقيقةٍ يجبُ معرفتُها غَرْسُها في القلب هي معرفةُ ثمن الطاعة، وحلاوة الأجر فَمَنْ لَاحَ له عظيمُ الثواب هَانَ عليه التعب والبذل، فأبْشِري أختاه بخيرات حجابك، واسعدي بفضائل طاعتك، وإليكِ بعضَها:

١ - الحجابُ طاعةٌ للّه سُبْحَانه:

لأنه تنفيذٌ لأمر الله الخالق، وحقّ الخالق أن يُنَفَّذ أمرُه على أرضِه وكَوْنه، فكُلّ لباسٍ خالفَ أمرَ المولى فَقَدَ معناه التعبديّ، وَصارَ فاعلُه مخالفًا لأوامرِ العزيز سبحانه التي تواترت في القرآن الكريم ومن ذلك:

* قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فهذا أمرٌ من الله لنبيه ﷺ أن يأمرَ نساءه وكُلّ المؤمنات بلبس الجلباب عند الخروج من البيوت كي لا يتعرضَ لهن فاسقٌ أو فاسدٌ لذا سارعتْ الصّالحاتُ بتنفيذ أمر الله سبحانه.

* قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما كانت عادةُ العربيات التبذل، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجالِ إليهن، وتشعّب الفكرة فيهن، أَمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ أن يأمرهُنَّ بإرخاء الجلابيب إذا أردنْ الخروجَ إلى حوائجهن، وورد أن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خرج يوم عيد، فمر بالنساء، فوجد ريحَ امرأة. فقال: مَن صاحبةُ هذه الريح؟ أما لو عرفتها لفعلتُ وفعلت، إنما تطيَّب المرأةُ لزوجها، فإذا خرجتْ لبستْ أطيميرها أو أطيمير خادمها، قال: فتحدثَّ الناس

أنها قامت عن حدث[1].

- والجلباب لفظٌ لا ينحصرُ باسْمٍ ولا جنس ولا لون، وإنما هو كُلَّ ثوبٍ تلبسُه المرأةُ لستر جسدها عن أعين الرجال الأجانب.

* وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

هنا يخاطبُ المولى سبحانه أطهر القلوب.. قلوب أمهاتنا زوجات رسول الله، ويخاطبُ صحابةَ النبي ﷺ «أبا بكر وعمر وعثمان... إلخ رضي الله عنهم أجمعين» بمثل هذه الآية العظيمة..

بالله عليكِ لو تَخَيّلْنا القرآن يُنَزّلُ الآن في زماننا... ماذا يمكنُ أن يكونَ الخطاب لأمثالنا؟!

* ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي من وراء ستر بينكم وبينهن، أيُّ سؤال سيسأله الصحابةُ عائشةَ رضي الله عنها أو غيرها من أمهات المؤمنين؟

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الأدب (١٠٠)، وانظر الكشاف (٣/ ٥٦٠).

يقينًا: أسئلة عن سبيل الاستقامة، والفوز بالجنة ونحو ذلك.

ومع سُمَوّ السؤال؛ يأتي الأمر القاطعُ: ﴿ فَسَْٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾، وذلك طهارةً للقلب، وصيانةً للفكر.

- يقول الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا أدبٌ لكلّ مؤمنٍ وتحذير له من أن يثقَ بنفسه في الخلوة مع مَنْ لا تحلُّ له، والمكالمةُ من دون حجاب لِمَنْ تحرمُ عليه»(١).

وتأملي: تعليلَ الحكم: فالمولى سبحانه فَرَضَ الحجاب؛ ليكونَ أطهرَ لقلوبِ الرجال والنساء وهذا التعليلُ دليلٌ واضحٌ على العموم، إذ لم يقلْ أحدُ: إن غيرَ أزواج النبي ﷺ لا حاجةَ إلى طهارةِ قلوبهن وقلوبِ الرجال من الريبة منهن، ومعلوم أن العلةَ تَعُمّ معلولَها فهذه الآية دليل على وجوب الحجاب على كل النساء وليس خاصًا بأزواجه ﷺ، وإن كان أصل اللفظ خاصًا بهن؛ لأن عمومَ علّته دليل على عموم الحكم فيه.

ومعلومٌ أن خطابَ الواحدِ يعمُّ حُكْمُه جميعَ الأمة، ولا يختصُّ الحكمُ بذلك الواحد المخاطَب؛ لأن خطابَ النبي ﷺ لواحدٍ من أمته هو خطابٌ لكلّ المسلمين، إلا

---

(١) فتح القدير الشوكاني (٤/ ٢٩٨).

بدليل خاصٍ يجبُ الرجوعُ إليه، فَعَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ بَايَعْنَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ. قَالَتْ: فَقُلْنَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مِثْلِ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ(1).

فقوله ﷺ لامرأة واحدة كقوله لمائة امرأة، وهكذا لفظ الحجاب، وإن كانَ لأزواج النبي ﷺ فهو عامٌ لكلِّ مسلمةٍ عاقلة مُكَلّفة بهذا الواجب.

ومعلومٌ أن أكثرَ آيات القرآن ذوات أسباب في نزولها، فإذا حصرنا أحْكَامَها ضمن دائرة أسبابها، فما هو حظّنا منها إذن؟

وبذلك لو قُلْنا هذه آياتٌ خاصة بزمنه ﷺ نكونُ قد عطّلنا آيات الله، وأبْطَلْنا أحكامها، وهل أُنزل القرآنُ ليطبَّق في عصرٍ دونَ عصر، وفي زمنٍ دونَ زمن؟!!

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا

---

(1) أخرجه النسائي (٧/ ١٤٩)، وأحمد (٢٧٠٠٧)، وغيرهما، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٢٩).

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

والقواعد من النساء هُنّ: العجائز (الكبيرات في السن) أباحَ اللهُ تعالى لهُنّ كشفَ الوجوه والأيدي لأنهّن لا يُشْتهين من قِبَلِ الرّجَالِ.

وهذه الآيةُ دليلٌ واضحٌ على أن المرأةَ التي فيها جمالٌ ولها طمعٌ في النكاح لا يُرَخّص لها في كشف شيء من جسدها أمام الأجانبِ؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى الفتنة بها ولو كانتْ عجوزًا، فكيفَ يكُونُ الحالُ بالشابة الجميلةِ إذا تَبَرجَتْ؟ لا شكَّ أن إثْمَها أعظمُ، والفتنة بها أكبر.

* وقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فهذا أمرٌ من الله بوجوب الخمار والتستر، والخمار ما تغطي به المرأة رأسها وقد يطلق على كل ما يستر الجسدَ، كما سبق توضيح ذلك.

٢- الحِجَابُ اتّبَاعٌ لسُنّتِه ﷺ :

انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. والحجاب من

جملة ما قضى اللهُ ورسولُه به. فتأملي: لو أنَّ رسولَ الله ﷺ قابلك وخَاطَبك مباشرةً وقَالَ لك: «يا فلانةُ: افْعلي كذا.. وكذا.. هل تجرئين على مخالفة أمره؟

أيُّ فارقٍ أن يأتيك أَمْره مباشرةً، وبين أن يرسلَ إليك رسولًا؟

أيّ فارق بين أمرِه لك مباشرةً وبين أمرِه عن طريق سُنَّته الصحيحة التي تَوَاتَرتْ أحاديثُها آمرة إيَّاكِ بالحجاب، ومنها:

١- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ، مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ مَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ»(١).

المروط: «ملابس مُعَلّمة من الحرير أو من الصوف، والمراد بقوله: متلفعات أي مستترات بملابسهن، والغَلَس: الوقت ما قبل طلوع الشمس، فهو الوقت الجامع بين ضياء الصبح وصلاة الليل.

٢- عن فاطمة بنت المنذر، قالت: كنا نُخَمّرُ وجوهَنا، ونَحْنُ مُحْرِمَات، ونحنُ مع أسماء بنت أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنها(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٦٧)، ومسلم (٦٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٢٨- رقم ٧١٨)، وصححه الألباني في الإرواء (١٠٢٣).

٣- وورد أن رسول الله ﷺ، أعطى عليًا بن أبي طالبٍ حلَّةً سيرَاء[١] وقال له: (شَقّقها خمرًا بَيْنَ نِسَائِكَ)، كَمَا أعطي ﷺ، أسامة بن زيد حلةً سيرَاء فلبسها. فقال له ﷺ: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا، وَلَكِنِّي بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُشَقِّقَهَا خُمُرًا بَيْنَ نِسَائِكَ»[٢].

والخمارُ هُو ما تَسْتُرُ به المرأةُ بدنَها كُلّه.

٤- عن عائشة رضي الله عنها. قالتْ: يَرْحَمُ اللهُ نساءَ المهاجراتِ الأول، لما نزل قولُه سُبْحَانه: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ شَقَقْن مروطَهُنّ فاختمرن بها[٣].

٥- عن صفية بنت شيبة قالت: «بينما نحنُ عند عائشة رضي الله عنها قالت فَذَكَرْنَ نساءَ قريشٍ وفضلَهن ، فقالتْ عائشةُ رضي الله عنها: (إن لنساءِ قريش لفضْلًا ، وإنّي والله ما رأيتُ أفضلَ من نساءِ الأنصار: أشَدّ تصديقًا لكتاب الله ، ولا إيمانًا بالتنزيل ، لقد أُنزلَتْ الآية ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]. فانقلبَ رجالهُن إليهنّ يتلون عليهنّ ما أنزلَ الله إليهم فيها، ويتلو الرجلُ على امرأته، وابنته، وأخته، وعلى كُلِّ ذِي قَرابته، فما منهن امرأةٌ إلا قامت إلى مِرْطِها المُرَحَّلِ، فاعْتَجَرَتْ به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من

(١) نوع من الأكسية به خطوط من حرير.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري برقم (٤٧٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

كتابه، فأصبحن وراءَ رسولِ الله ﷺ مُعْتَجِراتٍ كأن على رؤوسهن الغربان»(١).

٦- عن ابن مسعود رضي الله عنه. أن النبي ﷺ قال: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»(٢). فقوله ﷺ: «المرأة عورة»: وكُلّ عورةٍ يجبُ سترها، ويقبح ظهورها، والعورةُ كُلّ ما يستحيا من إظهاره والمراد بقوله: «اسْتَشْرفها الشَّيطانُ» أي: رفع البصرَ إليها للإغواء بها فكلّ امرأة كشفتْ ما يجبُ ستره، استدعتْ بذلك أنظارَ الرجال ليبصروها، فما دامتْ المرأةُ مستترة فلا سبيلَ لإغوائها أو الإغواء بها.

٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ». قَالَ: فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا وَتَزَوُّجِهَا فَتَزَوَّجْتُهَا(٣).

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا وموصولًا (٤٧٥٨، ٤٧٥٩)، وأبو داود (٤١٠٢، ٤١٠٣، ٤١٠٤، ٤٠١٥) مختصرًا.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٦٨٥)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٧٣)، والصحيحة (٢٦٨٨).

(٣) رواه أبو داود (٢٠٨٢) ، وأحمد (١٤٥٨٦)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٩/ ١٨١)، والألباني في الصحيحة برقم (٩٩).

فلنتدبرْ قوله: «فكنتُ أتخبأُ لها». فلو كانتْ متبرجةً ظاهرةَ الأعضاء لم يلجأْ إلى الاختباء ليراها وهي لا تعلمُ، وهذا الإذنُ بالنَّظر إنما هو لما يظهر من المرأة عادة كالوجه مثلًا.

٨- عَنْ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَه خُيَلَاء لَم يَنْظُر اللهُ إلَيْه يَوْم الْقِيَامَة) فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَة: فَكَيْف يَصْنَعْن النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ ؟ قَال:(يرْخِين شِبْرًا) فَقَالَت: إِذًا تَنْكَشِف أَقْدَامُهُنَّ ؟ قَال: (فَيُرْخِينَه ذِرَاعا لَا يَزِدْن عَلَيْه)[١].

وفي رواية أنّ نساءَ النّبي ﷺ سألنه عن الذّيِل فقالَ: «اجْعَلْنه شِبرًا». فَقُلْن: إنّ شِبرًا لا يسْتُر من عورة. فقال: «اجعلنه ذراعًا»[٢].

فالرسول ﷺ، مبالغةً منه في ستر القدمين جعل لهُنّ ذراعًا، كما أقرهُنَّ ﷺ على جعل القدمين من العورة.

وإذا كان القدمان من العورة، بأمرٍ وتقريرٍ من الرسول ﷺ. فما الظنُّ بباقي الأعضاء التي هي موضعُ فتنةِ الرجال، وإغرائهم، وموضع الزينة من المرأة؟! فهي بلا شك أَوْلَى بالسّتر والتغطِيةِ من القدمين.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٧٣١)، وصححه الألباني في الترمذي برقم (١٤١٥).

(٢) رواه أحمد (٥٦٣٧) من حديث ابن عمر، وقال أحمد شاكر : سنده صحيح.

٩- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى فَاطِمَةَ بِعَبْدٍ كَانَ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا وَعَلَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها ثَوْبٌ إِذَا قَنَّعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا غَطَّتْ بِهِ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا تَلْقَى قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكِ بَأْسٌ إِنَّمَا هُوَ أَبُوكِ وَغُلَامُكِ»[(١)]. وقيل: إن هذا العبد كان صغيرًا أسودًا.

والمراد هنا: أن فاطمةَ رضي الله عنها قد امتثلتْ لأمره سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب ٥٩].

ويوضحُ ذلك قوله ﷺ لفاطمَة (إنّه ليسَ عليك بأس، إنما هو أبوك، وغلامك) لأنَّ مملوكَ المرأة مَحْرَمٌ لها كأبيها، أما لو كان رجلًا أجنبيًا، فإن فاطمةَ سوف تحتجب منه وتَسْترُ جميعَ بدنها.

١٠- عن أم عطية رضي الله عنها قالت: أَمَرنا رسولُ الله ﷺ أن نخرجَ في الفطر، والأضحى (العواتق والحيّض، وذوات الخدور) فأما الحيّض فيعتزلنْ الصّلاة. وفي لفظٍ المُصَلّى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٦) من حديث أنس، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٥١٠)، والألباني في صحيح أبي داود برقم (٤١٠٦).

ويشهدنْ الخيرَ ودعوةَ المسلمين.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِحْدَانَا لا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ، قَالَ: «فَلْتُكْسِهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»(١)، قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ: يَعْنِي فِي الْخُرُوجِ فِي الْعِيدَيْنِ.

١١- وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: استأذن عَلَيّ أَفْلَحُ أخو أبي القُعَيْس (بَعْدَما أُنزِلَ الْحِجابُ) فقلت لا آذن له حتى أستأذنَ فيه النبيّ ﷺ.

فَدَخَل عليّ النبي ﷺ. فقلتُ له: يا رسولَ الله إن أفلحَ أخا أبا القعيس استأذنَ فأبيتُ أن آذنَ له حتى أستأذِنَكَ. فقال النبي ﷺ: «وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِينَ، عَمُّكِ؟». قلتُ: يا رسولَ الله، الرجلُ ليسَ هُو أَرْضَعني. ولكنْ أَرْضَعَتْني امرأةُ أبي القعيس. فَقَالَ عليه الصلاةُ والسّلام: «ائْذَنِي لَهُ، فَإِنَّهُ عَمُّكِ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ»(٢).

فعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا امتثالًا لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ احتجبتْ وسَتَرتْ جميعَ بدنها عما ظنته أجنبيًا عنها، وهذا هو الواجبُ على كُلّ مسلمةٍ ترجو ربَّها وتَخْشَى غضبه.

---

(١) البخاري (٣٢٤، ٩٨٠، ٩٨١)، ومسلم (٨٩٠) من حديث أم عطية.

(٢) البخاري برقم (٥٢٣٩) ، ومسلم برقم (١٤٤٥)، والنسائي (٦/ ١٠٢)، وأحمد (٢٤٠٥٤) واللفظ له، من حديث عائشة.

١٢- عن فاطمةَ بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما طَلقّها زوجُها، أَمَرها النبي ﷺ، أن تَعْتَدّ في بيت أم شريك.

وهي: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصارِ عَظيمَةُ النَّفَقَةِ في سَبيلِ الله يَنـزلُ عَلَيْها الضِّيفانُ - فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ. فقال: لَا تَفْعَلي، إنَّ أُمَّ شَريكٍ كَثيرَةُ الضِّيفانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أنْ يَسقُطَ عَنكِ خِمارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ ساقَيْكِ فَيَرى القَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ ما تَكْرَهينَ، وَلَكِنِ انْتَقِلي إلى ابْنِ عَمِّكِ عبدِ الله بنِ عَمْرِوِ بنِ أُمِّ مَكتوم وَهُوَ رَجُلٌ من بَني فَهرٍ، فَهْرِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مِنَ البَطْنِ الذي هي مِنْهُ - فانْتَقَلْتُ إلَيهِ؛ لأنه أعمى لا يراها(١).

فهذا الحديثُ صريحٌ في وجوبِ الحجاب على كُلِّ مسلمةٍ عاقلة في كُلِّ زمانٍ ومكان.

٣-الحجاب علامة الوجود:

إن كلّ موجودٍ في إسلامنا له علامة في ذاته تدلّ على هدف وجوده كما قال سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الدخان: ٣٨].

فللرجلِ علامات تميّزه تدلّ على الهدفِ من خَلْقه ووجوده، وكذلَك المرأةُ لها

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٢) من حديث فاطمة بنت قيس.

خواصّها الرمزية، والدلالية من وراء وجودِها، ونفس كليهما هي موطنُ التزكية كما قال سبحانه ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وللإسلام وسائلُه لهذه التزكيةِ ومنها الأمرُ بالحجاب والستر، فالسّمْت الظّاهري «الحجاب» ذو خصوصٍ تربويّ؛ وديني لأن الله زيّنَ المرأةَ خَلْقًا وتكوينا لينجذب إليها الرجلُ في صورةٍ شرعية مما يجعلُ النسلَ مستمرًا، وعمارة الأرض قائمة.. ولكن اليوم تبدّل الحالُ.. حيثُ صَارتْ الزينةُ التي فُطِرَتْ المرأةُ عليها مرادفًا لمحاربة الشّرع من إعلانٍ للعرى والتبذّل؛ لذا جاء اللباسُ الإسلاميّ هادفًا احترامَ الوجودِ الإنْسَاني وعدم الإسفافِ به، وذلك بتوجيهه إلى الغاية من وجوده وخلقه.

فأنت أُخْتَاه... بزيّك الشرعي.. بأنوثتك وتكوينك الجسدي.. أساسُ هذا الوجود وصمام الضّمان لاستمراره، لهذا نفهمُ سِرّ الوعيد الشّديد من النبيّ ﷺ «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرّجلَةَ مِنْ النِّسَاءِ»[١] لأن في ترجّلها خروجًا عن قضبان حياتها الذي أَعَدّه الله لها.. وتوالتْ الأحاديث محذرةَ «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٩)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٩٩) .

وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ»[1].

والمراد قوله هنا:

أن الاهتمامَ بالحجاب ليسَ أمرًا فارغًا من أيّ مضمونٍ أو مجرد شكلٍ وزَيٍّ... كَلاّ، بَلْ هو تعبيرٌ عن انتماءٍ حضاريّ، وموقفٍ عقديّ، والتزام ديني، وسلوكٍ شرعيّ وعداوةٍ للشَّيطان الَّذي يقصدُ هَدْم خُلُق الإسلام العظيم (الحياء)، وجاء النداءُ الرباني ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

واليوم نجدُ ابتعاد المرأة- كثيرًا- عن مجالات الإبداع الحقيقية التي تُثْمِرُ رقيّ المجتمع، واستقراره، وحُصِر الإبداعُ في جسدها.

كأن كيانَها ووجودَها أمرٌ مرهونٌ بجمال جسدها فهو كنزها ورأسُ مالها، ولقد شاعَ هذا الفهم حتى أصبحتْ المرأةُ (الجسد) هي الركنُ الأصيل في فكْر الرجل «في شِعْره.. أفلامه... قصصه... إلخ».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٨)، والنسائي في الكبرى (٩٢٥٣)، وصححه النووي في رياض الصالحين.

كأنها شيءٌ ممتع يَسُرّ الناظرين وفقط؛ لهذا أعدّوا لها فنونَ الموضة، وألوانَ المكياج، من أجل خدمة الجسد ليكونَ جذابًا مبهرًا. وفي هذا أكبر الظلم لها بلا ريب.

أما عندنا نحن– المسلمين–... فالمرأةُ كيانٌ عظيمٌ (عقلًا – جسدًا – فكرًا – روحًا) ذات رسالة سامية، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وبهذا الفهم الشامل تنطلقُ المسلمةُ معارضةً استلابَ الرجل لعفافها، هاجرةً الإعجابَ بصنم الجسدِ، معلنةً ما ردده نبيُّ الله إبراهيم ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات ٩٩]، وما سارع به نبي الله موسى ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤].

فاهمةً أن قيمتهَا في خلقها.. في عقلها.. في حسن فهمها لوظيفتها في هذه الحياة..

٤ – الحجابُ بركةُ الدّنْيا وسَعَادة الآخِرة

قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف ٩٦].

هنا: بركاتٌ لا أرزاق وفارقٌ كبير بينهما، فقد يُعْطَي العبدُ ألفَ جنيه وما تَمَتّع بواحدٍ

منها؛ لأنه ليسَ من رزقه إنما هو رزق الطبيب والدواء... إلخ، فكلّ عملٍ صالح له ثوابه المعجّل في الدّنيا والمؤجّل في الآخرة.

وهذا الثوابُ الدنيوي كان أحد مفاتيح الدعوة إلى الله كما عَلّمَنا ربُّنا على لسان رسله مثل: نوح (عليه السلام) الذي رغّب قومه كما حَكَى القرآنُ الكريم ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]، فجزاءُ الاسْتغفار: الرزق الواسع، والمال الوفير، كرمًا وفضلًا من الله المنّان.

ومن بركات حجابك: تذليل الصّعاب، ورَاحة البال، وسَكِينة النَّفْس، والإقبال بقلوبِ الصَّالحين نَحْوك، وسُبْحَان مُقَلّب القُلوبِ الَّذين كَانوا ضِدّك بالأمس.... صَاروا اليوم مَعَك. لماذا؟ لأنك وجّهْتِ قَلْبَك لله وحْدَه مالك الكون، فوجّه قلوب عباده إليك بالمودة والرِّضا.

همســة

مَنْ كان لله كَمَا يريدُ كَانَ اللهُ له فوقَ ما يريدُ،
ومَنْ أقبلَ عَلَى ربّه أَقْبل عليه بالمزيد.

فيا مَنْ تخافين على عملك إن التزمتِ بشرع الله، وعلى رزقك إن أطعْتِ الخالق سُبْحانه، وعلى شعور فلان وفلانة.. أقْبلي.. فمعك الله خلق الخلق، ومدبر الأمر.

٥- الحجَابُ يثْمِرُ حُبّ اللَّهِ سُبْحَانه :

نعم: لو أَطَعْت ربَّك هنيئًا لك حُبّه وحُبّ ملائكته وعباده الصالحين والمؤمنين، فَمَا الذي شغلك عن هذا الحبَّ وأنْسَاك إياه؟!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»(١).

٦- الحجابُ ثمرته دخولُ الجَنَّة:

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧]، والحجابُ من جملة الصالحات التي تورثُ الجنةَ.. ويا لها من دار!! أخبرك عنها النبيّ ﷺ بقوله: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٥)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٧).

وبقوله أيضًا ﷺ: «وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»(١)؟

- ألا تشتاقين للجنة بأبوابها الثمانية كما قال ﷺ: «مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ كَمَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ»(٢).

- الجنة التي حفزّك لها النبيّ ﷺ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ تَعَالَى فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»(٣).

- ماذا قَدّمْتِ أختاه لسكْنَى الجنة؟!!؟

- لقد قدَّم الصدّيقُ.... صِدْقَه.

- وقَدَّم الفاروقُ... عَدْلَه.

- وقَدَّم عثمانُ... مَالَه.

- وقَدَّم عليّ.... حَياته.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣١٦٦، ٦٩١٤).

(٢) مسلم (٢٩٦٧) من حديث عتبة بن غزوان.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في السنة (٤٤٣)، ومسلم (١٨١) بلفظ قريب.

- وقدَّمتْ خديجةُ...   مَالهَا وعُمْرها.

- وقدَّمتْ عائشةُ...   عِلْمَها.

ألا يجدُر بكِ الاقتداء بهؤلاء؟ وإن لم تقتدي بالصَّحْب الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – فَبِمَنْ إذًا؟!!!

أو لم يصلْك قولَه سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]؟ فيا بُشْرى الذين أطاعوا أمر ربهم، وخضعوا لقول نبيهم ﷺ (الحسنى: الجنة) وزيادة (النظر لوجهه عز وجل)(١).

٧- أَنْتِ فِي ظِلِّ اللهِ سُبْحَانه:

أختاه: كيف حالُكِ في يومٍ مقدارهُ خمسون ألف سنة؟ يوم فيه الكلّ عارٍ...خائف... إلا أهل الطاعاتِ وستجدين منهم مَنْ يلبي، ومَنْ يكبر، ومَنْ يُسَبّح؛ لأنَّ كلًا منا سَيُبْعَثُ على هيئته التي مَاتَ عليها، وأنت ما هيئتك التي يمكنُ قبض رُوحك عليها؟ أَلَا تحبين أن تكُوني في ظلِّ مولاكِ؟.. فانهضي إذًا طائعةً خاضعةً لما أمرك به.

إشراقة خير:
عجيب أمرنا: نُؤْثِرُ ونفضّل الظلّ على الشّمسِ ثُمّ لا نُفَضِّلُ الجنّةَ على النّار.

(١) أخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٤٤٣). وأخرجه مسلم (١٨١) بنحوه.

٨ – الحجابُ نورٌ في القبر:

القبرُ له ضَمّةٌ تختلجُ منها الأضْلاعُ، وظلام ما أفظعه، وهنا يحنو عليك عملُك الصّالح، يظلّ عليك حجابك، ناشرًا أطيبَ الروائح وأبهى المناظر، باعثًا الأمنَ والطمأنينة. فما أشدّ سعادتكِ بحجابكِ!!

٩ – الحجابُ سِتْرُ:

والسّتر خلق يحبه الله سبحانه لقوله ﷺ: «إن الله تعالي حيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياء والستر»(١)، لهذا احذري ما جاء: عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ نِسْوَةً مِنْ أَهَلْ حِمْصَ اسْتَأْذَنَّ عَلَيها، فَقَالَتْ: لَعَلَّكُنَّ مِنْ اللَّوَاتِي يَدْخُلْنَ الْحَمَّامَاتِ ؟! سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:(أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِها فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ)(٢).

هذا وعيدٌ لمن تنزعُ ثيابها كي تبرزَ زينتها ويراها الأجانبُ، فيا لقبح الذّنب، ويا لهول العقاب!!.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (١/ ٢٠٠) من حديث يعلى بن أمية، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٣٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠١٠)، والترمذي (٢٨٠٣)، وصححه الألباني في آداب الزفاف (ص١٤٠ – ١٤١).

١٠- الحِجَابُ من علاماتِ الإيمان:

لذا خَاطَبَ اللهُ في آياتِ الحجاب أهل الإيمان، كما في قوله ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾، وقوله عز وجل: ﴿ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، ورحم الله عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما دَخَلَ عليها نساءٌ من بني تميم يَلْبسْن ثيابًا رِقَاقًا فقالت لَهُنّ: «إن كُنْتُنّ مؤمنات فليسَ هذا بلباسِ المؤمنات، وإنْ كُنْتن غير مُؤْمِناتٍ، فتمتّعْن به».

١١- الحِجَابُ مِنْ أَمَاراتِ الحَيَاء:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»[(١)]، وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ»[(٢)].

ورحم الله أُم المؤمنين (عائشة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ قالتْ: كنتُ أدخلُ البيت الذي دُفِنَ فيه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واضعةً ثوبي، وأقول: «إنما هو زوجي وأبي»، فلما دُفن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله ما دَخَلْتُه إلا مشدودة علىّ ثيابي، حياءً من عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١) من حديث أنس، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٠) لشواهده.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩)، وأحمد (١٠٥١٢)، وصححه ابن حبان (٦٠٨- إحسان) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٥).

(٣) أحمد في المسند (٢٥٦٦٠)، والحاكم (٤٤٥٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

* وما أجمل أن تتدبري حال المرأة التي رفضتْ أن تلبسَ ثوبًا لها، لأنه وقع عليه بصر غير ذي محرم منها.

هذه القصة يرويها لنا الرحالةُ المسلم (محمد بن إبراهيم) الشهير بابن بطوطة أثناء زيارتِه لبلخ (مدينة صغيرة في أفغانستان)، فيقول: «ذكر لي بعضُ أهل التاريخ أن مسجدًا في بلخ بنته امرأةٌ كان زوجُها أميرًا على المدينة من قِبَل بني العباس، وخلاصة ما حدث أن الخليفةَ غضبَ مرةً على أهل بلخ لفتنةٍ قاموا بها، فبعثَ إليهم مَنْ يغرمهم، فلما بلغَ رسولُ الخليفة إلى المدينة أَتَى أهلُها إلى زوجة الأمير التي بنتْ المسجد، وحكوا لها قسوة الغرامة، فبعثتْ إلى رسول الخليفة بثوبٍ لها مرصَّعٌ بالجواهر، قيمتُه أكثر مما أَمَر بتغريمه، فقالتْ له: اذهبْ بهذا الثوبِ إلى الخليفة، فقد أعطيته صدقةً عن أهل بلخ لضَعْفِ حالهم. فَذَهَبَ الرجلُ بالثّوب إلى الخليفة، وألقاه بين يديه، وقصّ عليه القصة، فخجل الخليفةُ وقال: ليستْ المرأةُ أكرم منا، وأَمَر برفع الغرم عن أهل بلخ، وردّ الثوب إلى المرأة.

عاد الرجلُ إلى بلخ، وأَتَى منزلَ المرأة، وقَصّ عليها ما قاله الخليفة، وردّ إليها الثوب، فقالتْ له: أَوَقَعَ بصرُ الخليفة على هذا الثوب؟ قال: نعم. قالت: لا ألبسُ ثوبًا

أبصره غير ذي محرم مني! وأمرتْ ببيعه، فَبُنِيَ منه المسجدُ والزاوية، ورباط في مقابلته، وفضل (أي زاد) من ثمن الثوب مقدار ثلثه، فأمرتْ المرأةُ بدفنه تحتَ بعض سواري (أعمدة) المسجد ليكونَ هناك متيسرًا إن احتيج إليه أخرج»[(١)].

* من هنا أتساءل: أينَ الحياءُ في حياتنا؟ أمن الحياء أن ترتديَ المرأةُ ما دامتْ محافظةً على شرفها وعفتها؟!

يجب أن نعلم أن مفهومَ العفةِ والشرف ليسَ في الاحتفاظ بالعذرية إلى ليلة الزفاف، ليعلمَ الزوجُ أن مَنْ تزوجها عفيفة فحسب! وإنما العفَّةُ والفضيلة تكونان- كذلك- بستر الجسد عن العيون الجائعة التي تزني بالنظر إلى كلّ مكشوف من جسد المرأة كما قال ﷺ: «...كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةً»[(٢)].

والمراد: أن كُلَّ عينٍ نظرتْ إلى غير حلالها أو محارمها تُعْتَبرُ زانية، وبالمثل إذا تعطّرتْ المرأةُ أو تبخّرتْ فشمّ رائحتها غير زوجها أو محارمها تعتبر زانية!

---

(١) «ابن بطوطة رحالة العرب» (ص ١٠٠، ١٠١).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٧٨٦)، وحسنه الألباني في سنن الترمذي برقم (٢٧٨٦).

- والطِّيب المحرم هو ما ظهرتْ رائحتُه عند خروجِها من بيتها، أما إذا لم يظهرْ ريحُه فلا حرمةَ فيه.

- ولقد ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن امرأة: لقيته فشمّ منها ريح الطَّيب، فقال: يا أمة الجبار! جئتِ من المسجد؟ قالتْ: نعم. قال لها: تَطَيّبتِ؟ قالتْ: نعمْ. قَالَ: إنّي سمعتُ حبي أبا القاسم ﷺ يقولُ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ لِامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا الْمَسْجِدِ، حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الجَنَابَةِ»[1].

هذا الوعيدُ لمن تتطيّب ويُشَمّ ريحها وهي ذاهبةٌ للمسجد فما بالنا بمن خرجتْ متطيبةً تجوبُ الشوارعَ، أو النوادي للنزهة، وترتاد دور السينما والمسارح للتسلية، وتنشر إغراءها في أماكن العمل؟!

١٢- الحِجَابُ مِنْ دَلَائِلِ الغيرَة:

إن الرجل السَّوِي يستحي أن تمتدّ النظراتُ الخائنة إلى زوجته وبناته، وكم من حروبٍ نشبتْ في الجاهلية والإسلام غيرةً على النساء، وحَمِيَّةً لحرمتهن، لهذا تواترتْ الأحاديثُ المنبهة إلى فضيلة الغيرة المحمودة على المحارم والحرمات كما في

(١) أخرجه أبو داود (٤١٧٤)، وابن ماجه (٤٠٠٢)، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة (١٠٣١).

قوله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ولَا يَنْظُرُ اللهُ – عز وجل – إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ ، وَالدَّيُّوثُ»[1].

❋ «الدَّيُّوث»: هو الذي لا يَغَارُ على أهله، فَيَرى السيقانَ مكشوفةً، والشعور متدليةً، والصدور عاريةً، والرجالُ هنا وهناك ينظرون لما أمامهم من بضاعة سوء في سوق الشيطان لا يتحرك له قلبٌ، ولا يهُزّه ضمير، ولا تحركُه رجولة، ولا تثيره غيرة.

– الغيرة التي حركتْ الفاروقَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه غيرةً على نساء النبي ﷺ حيثُ قَالَ: «يا رسولَ الله يدخلُ عليك البر والفاجر، فلو أَمَرْتَ أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، قُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا».

---

(١) أخرجه أحمد (٦١٨٠)، والنسائي في المجتبى (٥/ ٨٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٨٣) من حديث عمر رضي الله عنه.

فبكى عمر وقال: «أعليك أغارُ يا رسولَ الله»[(١)] أي: كيف أغار على دخولك قصرًا أنت السبب في حصوله لي، بل وأنت أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم؟

وعن سعد بن عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لَضَربته بالسيفِ غَيْر مصفح»، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «تَعْجَبُونَ مِنْ غِيرَةِ سَعْدٍ ؟ وَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غِيرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[(٢)].

* وعلى درب الخير جاء أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَا تَسْتَحْيُونَ أَوْ تَغَارُونَ ؟ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ نِسَاءَكُمْ يَخْرُجْنَ فِي الْأَسْوَاقِ يُزَاحِمْنَ الْعُلُوجَ»[(٣)].

والعلوج: جمع عِلج، وهو الرجلُ من كفار العجم أو الضخم القوي.

* وورد: أن امرأةً تقدمتْ إلى القاضي فادّعَتْ على زوجها بِصَدَاق خمسمائة دينار، فأنكَره، فجاءتْ ببينةٍ تشهدُ لها به، فقالوا: نريدُ أن تكشفَ لنا عن وجهها حتى نعلمَ أنها الزوجة أم لا؟ فقال الزوجُ: لا تفعلوا، هي صادقةٌ فيما تَدّعيه فَأَقَرّ بما ادّعتْ ليصونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه عبد الله في زوائد المسند (١١١٨)، وصححه أحمد شاكر.

زوجتَه عن نظر الرجال إلى وجهها، فقالتْ المرأةُ حين عرفتْ ذلك منه: هو في حِلٍّ مِنْ صَدَاقي عليه في الدُّنيْا والآخرة. وقد أعجبَ الجميعُ بغيرتهما(١).

* وفي القرن السابع الهجري احْتَلَّ الصليبيون بعضًا من بلاد المسلمين حتىّ أوشكوا أن يحتلوا مصر، وفكّر حاكمُ مصر الفاطمي «العاضد لدين الله» أن يستعينَ بوالي الشام «نور الدين زنكي»، ولكن بينهما عداءٌ دينيّ وسياسي، لكنه وَجَدَ الحلَّ بواسطة الغيرة على كرامة المرأة حيث أرسل العاضدُ إلى (نور الدين) رسالة استنجاد أرفقَ معها خصلة من شعور نساء بيت خلافته في القاهرة، فَسَرتْ الحميةُ والنخوةُ في نور الدين وجنده مما دفعهم لإنقاذ مصر من الصليبين وذلك بإرسال جيش بقيادة: أسد الدين شيركوه، و«صلاح الدين الأيوبي»، حتى كان يومُ النصر العظيم في حِطّين.

١٣ - الحِجَابُ حِرَاسةٌ للفضيلة:

حراسة تحمي المؤمنةَ من أذى قد يقابلها، ونظرة سوء قد تواجهها ولنتأملْ - معًا - قوله سبحانه: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] «فالله سبحانه وصفَ التبرجَ والتعري بأنه رجعية ومن سلوك الجاهليةُ، ومعنى هذا أن

---

(١) البداية والنهاية ٨١/ ١١ ابن كثير، نقلها عن المنتظم لابن الجوزي (٦/ ١٨).

التحجب تقدمٌ وتطوّر، ومن سلوك العقلاء الصالحين.

والناظر في المجتمع يجدُ أن عواملَ الإثارة ترتكزُ على:

١ - إبراز مواضع اللحم (بالزيّ الكاشف أو الرقيق الملتصق بالجسد).

٢ - المراهنةُ على حركةِ الجسد للفتِ النّظَر، وما أشكالُ الرقْص إلا صورُ تعبيرية جنسية واضحة.

٣- الّلين في القول والتغّنج فيه.

٤ - توظيف الروائح في جذب الانتباه، ولقد دلّتْ الأبحاثُ على أن الشمّ ذو تأثيرٍ هام في القضية الجنسية، ولُوحظ لَدَى العديد من الحيوانات أن الإناثَ يُطْلقْن روائحَ مميزة لجذب الذكور.

٥ - الّلمْس بصفة عامة، فهو من عوامل الإثارة.

وللقضاء على هذه العوامل أُمِرْنا بما يلي:

أ- بغضّ البصر وليس تغميضه لقوله سبحانه: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

ب- ارتداء المرأة الزيّ الشرعي بكامل صفاته، لقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل

لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب ٢٨].

جـ- النّهي عن الضّرب بالرِّجْل حتى لا يعلمَ مَنْ حولها بحالها، لقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

د- النّهي عن التكسّر في القول لقوله سبحانه: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

[الأحزاب: ٣٢].

هـ- النّهْي عن التّعَطّر بمحضر الرجال الأجانب؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك، كما سبق.

و- النَّهْي عن الّلمْس بين الجنسين لقوله ﷺ: «أَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ»(١).

---

(١) أخرجه الطبراني في (٢٠/ رقم ٤٨٦، ٤٨٧)، وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٦)، وفي صحيح الجامع (٥٤٥٦).

من هنا جاء الحكم الرباني بفرض الحجاب: صيانةً للمرأة، وحمايةً للمجتمع وطهارةً للقلوب وحراسة للفضيلة.

١٤- الحجابُ فقهٌ وعِبَادة

العبادة: اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبه اللهُ ويرضَاهُ من الأقوال والأفعال الظّاهرة والباطنة، ومعلوم أن لكلّ عبادةٍ شروطًا، فالصّلاة مثلًا لها شروط مثل الوضوء، وستر العورة... إلخ. فإن لم تستوفِ العبادةُ شروطَها فهي مردودةٌ على صاحبها.

- والحجاب عبادة عظيمة، ولكي تنالي أجره فلا بد من الالتزام بشروطه، والتزام هديه ﷺ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

فهذا وعيدٌ لمن خَالفَ شرع الله سبحانه أن يصيبَه المولى بزيغ القلب فلا يعرفُ معروفًا ولا ينكرُ منكرًا، بل يصبحُ قلبهُ حقلًا للآثام والشكوك، وعقلُه ملعبًا للبدع والأفكارِ الضّالة وجسده منطلقا للحرام. وهكذا....

حكمة
ليسَ عليكَ إقناعُ النَّاس برأيك، ولكن عليك أن تقولَ لهُمْ ما تؤمنُ أنه حق

والعبادةُ المقبولة لها شرطان:

الأول: الإخلاصُ لله سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]: أي يكون هدفُكِ من التحجب هو إرضاء الله وحده فلا سعَى لدنيا، ولا سترَ لعيب، ولا إظهارَ لجمال، إنما المراد: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثاني: صدقُ المتابعة للنبي ﷺ: لأنّ من أدّى عبادةً على غير النحو الذي علّمه إياه رسول الله ﷺ، فالله سبحانه لا يقبل هذه العبادة؛ لقوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(١)].

والمراد به- هنا-: أنَّ مَنْ تَزَيّتْ بزيٍّ، وارتدتْ حجابًا على غير هَدْيه ﷺ فلا قيمة له؛ لأن الحجاب عبادةٌ، والعبادةُ لا تخضع لعُرْف، ولا لهوى بل منبعها ومصدرها الشرع الكريم.

من هنا تشتدُّ حاجتك لمعرفة شروط الزيّ الشرعي، كما أوضحها النبي ﷺ كي الأجر من الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة، والرواية الثانية عند مسلم (١٧١٨/ ١٨).

مواصفاتُ الزيِّ الشّرعيّ

الأول: ألاَّ يَشِفَّ ما تحته: كما جاء عن أسامة بن زيد قال كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً مِمَّا أَهْدَاهَا لَهُ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ: «مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسْ الْقُبْطِيَّةَ؟»، قُلْتُ: كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ: «مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا»[1].

- وورد أن امرأةُ دخلتْ على عائشة، وعليها خمارٌ رقيقٌ يشف عن جبينها فشَقّته عائشةُ عليها وقالتْ: «أَمَا تَعْلَمين ما أَنْزَلَ اللهُ في سورة النور؟» ثم دَعَتْ بخمارٍ فَكَسَتْهَا[2].

ومما يوضح ذلك أن (المنذر بن الزبير) أَهْدَى أمّه أسماء بنت الصديق رضي الله عنها ثيابًا بعد ما كُفّ بصرها، فلمستها بيدها، وردّتها له، فَقَالَ لها يا أمّ إنَّها لا تشف، فقالتْ: إنها إن لم تشفْ فإنها تَصِف»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٨٦، ٢١٧٨٨)، وحسنه الألباني في جلباب المرأة المسلمة ص١٣١.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩١٣) مختصرًا، وأشار الألباني إلى ضعفه في جلباب المرأة المسلمة (ص١٢٦).

(٣) ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٨٤) وصححه الألباني في جلباب المرأة المسلمة (ص١٢٧).

الثَّاني: أن لا يكونَ الحجابُ في نفسه زينة يُلْفِتُ الأنظارَ بألوانه الزاهية وإكسسواراته الكثيرة انطلاقًا من قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ فهذا نهي عن إظهار كُلّ زينة.

وكما في قوله سبحانه: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١].

وجاء الحسم واضحًا على لسان أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما سُئِلَتْ يا أمّ المؤمنين ما تقولين في الخضاب والتمائم والخلخال وخاتم الذهب....؟

قالتْ: يا معشرَ النساء قصتكنّ قصةُ امرأةٍ واحدة أحلّ الله لكنّ الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن أن يروا منكن مُحرّمًا»(١).

الثَّالث: أن يكونَ سَاتِرًا للجَسَدِ كُلّه كما في قوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، فهنا أمر بارتداء الجلباب وهو الثوبُ الذي يستر جميع البدن.

الرابع: أن يكون فضفاضًا واسعًا غَيْر ضيقٍ حتى لا يصف ما وراءه.

---

(١) تفسير القرطبي.

* والدليل:

قول مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَهَى النِّسَاءَ عَنْ لُبْسِ الْقَبَاطِيِّ قَالَ: وَإِنْ كَانَتْ لَا تَشِفُّ فَإِنَّهَا تَصِفُ[1].

قَالَ ابْنُ رُشْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقَبَاطِيُّ ثِيَابٌ ضَيِّقَةٌ مُلْتَصِقَةٌ بِالْجَسَدِ لِضِيقِهَا فَتُبْدِي ثَخَانَةَ جِسْمِ لَابِسِهَا مِنْ نَحَافَتِهِ وَتَصِفُ مَحَاسِنَهُ وَتُبْدِي مَا يُسْتَحْسَنُ مِمَّا لَا يُسْتَحْسَنُ فَنَهَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَلْبَسْنَهَا النِّسَاءُ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[2].

لهذا لا يوجدُ ما يُسَمّى (تجسيم العباءة – لبس البنطلون – ونحو ذلك) لما فيهما من وصفٍ للأعضاء، وتجسيدٍ للجسد، وقد ورد النهي عن ذلك.

الخامس: أن لا يكونَ مُبَخّرًا مُطَيبًا لتحذيره ﷺ (أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ)[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٢٨٨)، وعبد الرزاق (١٢١٤٢)، وقواه الألباني في جلباب المرأة ص١٢٨.

(٢) البيان والتحصيل (١٧/ ٩٥).

(٣) تقدم تخريجه.

والمراد أنها كالزانية في حصول الذنب، وإن تفاوتت العقوبة.

وهذه مبالغةٌ للتهديد، ووُصِفَتْ بالزانية لأنها هيّجت الرجال وَحَمَلَتْهم على النظر إليها، وهذا يُسَمّى بزنا العين، فهي آثمة لذلك، بل ورد النهي عن التعطر حتى في الخروج للصلاة كما قال ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا، فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ»(١).

السَّادس: أن لا يُشْبه ملابسَ الكافرات لأن النبيّ ﷺ حذّرنا بقوله: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(٢).

وذلك لأن في التشبه فقدانًا للذات، ومسْخًا للهوية، وتضييعًا للخصوصية، لذا كتب (عمر بن الخطاب) لواليه على أذربيجان «يا عتبةُ إيَّاكم والتنعّم وزيّ أهلِ الشّرك ولبوس الحرير». والمراد هنا الزي المميز لشركهم فقط.

ولهذا يجبُ ألَّا يكونَ في الزيّ صليبًا أو صورًا ذات روح، وبمثل هذا علمتنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان ﷺ لا يَتْرُك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٥١١٥)، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٦٩).

(٣) البخاري (٥٩٥٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. (نقضه): قطعه أو مزقه بتغيير معالمه.

السَّابع: أن لا يُشْبِهَ ملابسَ الرجال للحديث: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[١]. فالله خلق الكون وخلق لكلّ من الرجل والمرأة طبيعة خاصة لضمان استمرار الجنس البشري، وعمارة الكون.

فتشبه كُلّ منهما بالآخر خروجٌ على قانون الحياة، وتمردٌ على فطرة الله التي خَلقَنا عليها مما يدفعُ للمعاصي بألوانها. قال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : (لعَنَ رسُول اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يلبَس لِبْسَةَ المرأةِ، والمرأَةَ تلبَس لِبسَة الرَّجل)[٢].

واللعن هو الطرد من رحمة الله، وهذا لا يكون إلا على ذنب عظيم بلا شك.

الثامن: أن لا يُقْصَدَ به الشّهرة بين الناس لقوله ﷺ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣] أي: مَنْ لبس ثوبًا أراد منه التكبّر على النَّاس وإظهار العلو في الأرض فجزاؤه المذلّة يوم القيامة، والشهرة قد تتحقق بالثوب قليل الثمن أيضًا فكلُّ ما يراد منه الاشتهار والعلو ولفت النظر هو المحرم، لكن مَنْ لبسَ ثوبًا جميلًا وأراد منه إظهار فضله سبحانه عليه كان مأجورًا، كما لو لبسه فخرًا وكبرًا كان آثمًا.

---

(١) البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وابن ماجه (٣٦٠٦، ٣٦٠٧)، والألباني في جلباب المرأة المسلمة ٢١٣.

من هنا احذري

❋ لبس الضيق المحدّد لملامحِ الجسدِ.

❋ لبس البنْطَلون، وغِطَاء الرأسِ المزركش المُلفت للأنْظَار.

❋ ارتداءَ العباءةِ المزركشة وغطاء الرأسِ الرقيق.

❋ كَشْف بعض السّاقِ أو القدمين.

❋ المشية المتكسّرة والتمايل الجَسدي.

❋ الصّوتَ المتغنّج والضحكَات الرنّانة.

❋ العطرَ الفوّاح والحذاء ذا الكعب العالي الملفت للنظر.

إذن

حجاب مع مكياج مع بنطلون مع ملابس ضيقة مع كشفٍ لبعض خصلات الشعر هذا كله مخالفة صريحة لأوامرِ الله سبُحْانه وعصيانٌ للنبي ﷺ.

حكمه

مَنْ عَرّض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ

مَنْ أساء الظن به

١٥- الحِجَابُ حَرْبٌ على الرذيلة:

* حربٌ ضد العُرى، وضدَّ الرزيلة، وميدان هذه الحرب النفس البشرية، ورحمةً من الله سُبْحانه أَمَدّنا بسبل الفوز في هذه الحرب، ومن هذه السبل: الالتزام بالزيّ الشرعي وتدمير مخطط الشيطان الذي حكاه لنا ربنا في القرآن الكريم: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

- فالتزامك الحجاب تدميرٌ لبعض مخططات الشيطان، وتدعيمٌ لأولياء الرحمن، من هنا جاء التحذير النبوي صارمًا بشأن العرى.

والعجيب أن الذي أخبر عنه النبي ﷺ لم يكن في عهده وإنما أَطَلّ ﷺ على المستقبل، واستبصر الغيب بعلم الله، فأنكر وحَذّر كما في حديثه ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأَقُولُ مُذكّرًا

إن اهتمامَ الإسلام بالصورة ليسَ مجردَ شكلٍ خال من أيّ مضمون، بل هو تعبيرٌ عن انتماء حضاريّ وموقف عقديّ ورؤية وجودية والتزامٍ ديني، لهذا كان سعيُ الشيطانُ للعري والمعصية، ولنتأمل قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه: ١١٨]، فالمولى جمع بينهما لأن الجوعَ ذُلّ الباطنِ، والعري ذلّ الظاهر ولكن الشّيطان وَسْوَس ليحققَ هدفه ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ هذا هو الهدف (العرى... وإظهار السوءة) كي يُنـزلَ العبدَ من مرتبة الإنسانية إلى درك البهيمية، لهذا يُخْطِئُ مَنْ يظُنّ أن اللباسَ زيٌّ محايدٌ لا انتماءَ له.

كَلَّا إنما هو رمز حضاريٌّ يكشفُ عن هوية ومعتقدِ صاحِبه، فالعريُّ له دلالته وفلسفته كما أن الحجابَ الشرعيَّ له دلالتُه ومقصده، وكلاهما منهجُ ومعتقد لا يلتقيان.

فالعرى في حقيقته تضييعٌ لقيم المرأة، وأنوثة وجودها. وهو لا يرتبطُ بزمن أو جيل ولكنه هيئةٌ تكشفُ عن سلوك، هيئةٌ تُوجد بالأمس أو اليوم أو الغد، والإسلام معتقد وسلوك وهيئة، فالأمر في حقيقته إما الالتزام بمنهج الحق أو الخروج عنه!

١٦- الحجابُ حَامي الأنوثة:

تلك الأنوثةُ التي تُعتبرُ ضرورةً لاستمرارِ البشرية ولقيام الحضَارات، لهذا فترجّل المرأة تهديدٌ لذلك الوجود وجاء اللعن واضحًا «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَةَ مِنْ النِّسَاءِ»(١) لأن للأنوثة معالم وأركانا من أهمها الحياء كما قال ﷺ: (إنَّ الْحَيَاءَ وَالإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ)(٢)؛ ولإقامة ذلك جاء الستر الجسديُّ (الحجاب) والسترُ الحركيّ (وَلَا يَضْرِبْنَ) والستر الصوتي (عدم ترقيق الصوت) (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) كُلّ ذلك مراعاةً لحياء الأنوثة وحفظًا لوظيفةِ وجُودِها وجاء السَتْر والتّخَفِّي مَطْلبًا تعبديًا للمرأةِ حتّى في الصلاة لدرجة أن الصلاة في بيتها أفضلُ في الأَجْرِ من المسجد.

فالحجابُ: حجابٌ للشهوة لا للعقل؛ لأنه يحجبُ الجانب الجسدي من الجسد كي يظهرَ الجانب المعنوي في المرأة لهذا فهو إذن رمزُ الأنوثة الكاملة؛ لأنه يُظْهِرُ المرأةَ كإنسانةٍ في مواجهة أيّ إنسان لا كأنثى في مواجهة ذَكَر.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٢٢)، وغيره، وصححه الألباني في جلباب المرأة (١٣٦).

١٧- الحجابُ رايةٌ:

❋ رايةٌ تُعلّمك أنه ليسَ ملبسًا وفقط، وأن صاحبته ليستْ مجردَ جسدٍ للتّجارة أو للموضة أو للإعلان، إنما هي نَفْسٌ تَسْبَحُ في فَلَك العبودية لله، تُؤدي وظيفتها الحقيقية- كما هو حال الرجل- (عِبَادة الله سُبْحانه وعِمَارة الأرضِ وِفْق مَنْهج الأنْبياءِ والصَّالِحين).

إن اعتبار حرية المرأة أنَّها حريةُ التعري هو في حقيقته مسخٌ لشخصيتها، وتدميرٌ لكبريائها، ومضادٌ لما أراده المَوْلى سبحانه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء ٧٠].

والالتزامُ بالحجاب هو نوعٌ من الوفاء العقدي لعهد الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠]، فكيف بالله تنتقضين هذا الوعد؟ وتخالفين ربك، وتتصالحين مع عدوه وعدوك؟!

إنَّ المنادين بتَحَرّر المرأة لا يُريدون حُرّيتَها،
بل يُريدُون حريةَ الوُصول إليها

١٨- الحجابُ إيمانٌ وعقيدة:

إن الزيّ مظهرٌ يُجَسّدُ رؤيةَ الفرد لجسده وفهمه لمجموع القيم التي تُحَدِّدُ صُورَ التعامل مع هذا الجسد.

والمتفق عليه أن لكلّ حضارةٍ قيمَها وموازنيها بشأن التعاملِ مع الجسدِ لذا نجدُ الاختلافَ في الأشكال والأزياء، فقد تكشفُ حضارةٌ معينة عن عضوٍ مَا فيما تعتبره حضارةٌ أخرى عورة لا يجوزُ كشفها.

ونحن المسلمين أصحابُ حضارةٍ ذاتِ قناعات سلوكية، ومبادئ إيمانية وخصوصيات شكلية، لذا جاء شرعُنا بضوابطَ لخصائص الزيّ الشرعي للمرأة ولم يترك الأمر للأهواء أو للأعراف.

* فحجابك - أختاه - هو إيمانٌ واستجابة لأمره سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

* وحجابك عقيدةٌ: أنّكِ عمادُ هذا الوجود، ولسْتِ باحثةً عن الإغْواء، ولا طالبةً الإضلال، ولا مُعْجبةً بالعيش في أجْواء العرى.

لأنَّ زِيّك الشرعيّ له خصائص تُميّزهُ، وموانعُ تمنعه من الانصهار في غيره، فهو ذاتُ

خصوصيةٍ تنبعُ من خصوصيةِ الدّين الذي أَمَر به، وثبات العقيدة التي تؤمن بها صاحبته.

لذا جاءت شروطه الحاسمة (أن يكون سميكا، ساترا، غير ملفت للنظر،... إلخ... كما سبق).

١٩ - الحِجَابُ عنوانُ الذّاتية واسْتِقْلَالُ الشّخْصيّة:

لقد سعتْ أوربا منذ زمنٍ إلى السّيطرة على خَيْراتِ العالم الثالث، وأدركَ قادتها أن إحكامَ سيطرتهم يحتاجُ إلى ما هو أبعدُ من القوةِ المسلّحة، لذا لابدَّ من تَحْطِيم أُسُس المقاومة الداخلية وتدمير حراس الحدود، وتمييع أجهزة المناعة الإيمانية، وتفكيك التركيبة الاجتماعية للشعوب المحتلة ثم تقديم بديل لكلِّ ذلك وفق مناهج الغرب ورؤاه.

وبمرور الوقت يتمّ تخريج أجيال من أبنائنا تنظر لحضارتنا على أنها رمزُ التَّخلف والرجعية، مع الانبهار التَّام بحضارة الغرب وقيمه وتقاليده.

الحجابُ نَوْعَان:
حجابٌ لدَفْع الأَنْظَار، وآخرُ لجذْبِ الأنْظَار
فأيُّ الحِجَابين حِجَابُك؟!

وهذا هو الاغْتِرَابُ الحَضَارِيّ

الذي في سبيله يسلكُ الغربُ كُلّ سبيلٍ لإزالة أيّ عائقٍ في طريقه، ولا ريبَ أن الزيّ الإسلاميَّ للمرأة - والذي يتناقضُ بشدةٍ مع الزيّ الأوربي - كان من أهم العوائق في طريقهم ولا يخْفَى علينا ما قاله أحدُ قادة المحتلين الفرنسيين: «إن حجابَ المرأةِ الجزائرية أخطرُ على استقرارنا من العديد من قذائف الثوار».

من أجل هذا شَجّع الغربُ حركاتِ التحرير النسائية، واستعانوا بأقلام الدعارة الفكرية من أجل تمييع قيم المسلمة ظاهرًا وباطنا، وصدق فينا قول ابن خلدون: «إن المغلوب مولعٌ أبدًا بتقليد الغالب» وذلك أن نفرًا منا اعتقدَ الكمالَ في أوربا التي غلبتْنا وسبقتنا بتطورها التقني، فلنقلدْها في كلّ شيء عسانا نبلغُ مبلغَها في كافة شئون الحياة.

وهنا: يظهرُ الحجابُ في شموخٍ معلنًا ثلاثةَ أمور:

١ - أَنَّه اعترافٌ بالذات وتمسّكٌ بالشرع المبين الآمرِ بالحجاب.

٢ - أَنَّه اعتزازٌ بماضينا ورفضٌ للذّوبان في وسط الطُّوفان الغربي.

٣ - أنّه إعلانٌ بقيمة المرأة كإنسانٍ مبدعٍ مربٍّ للرجال، وراعٍ للأبطال.

٤ - أنّه إعلانٌ للبراءة من بعض قيم وأزياء الغرب، وأن المسلمةَ أصبحتْ ذاتَ

عقلية نقدية تعرفُ ما يناسِبها ومَا لَا يُنَاسِبُهَا.

٥- أَنّه إعلانٌ: بتحررها من التوظِيف المنحرفِ للغرائزِ والشهوات.

٦- أَنّه إعلانٌ برفض تجارة الغرب الطفيلية التي تستهدفُ ثرواتِ الشّعوب واستغلالها في صناعاتٍ استهلاكية (مكياج - موضة... إلخ).

٧- أَنّه إعلانٌ برفض اختزال المرأة في الجسد فقط، ومن أجله تُزَيّن الملابس، وتُصْنَعُ الإكسسوارات في سوقٍ استهلاكيٍّ مدمرٍ للقيم وللأخلاق النافعة.

٢٠- الحِجَابُ حُرِيّة:

١- حرية من الكآبة وتوضيح ذلك:

أن الأنثى عند بلوغِها سِنّ الحيض تزدادُ في نفسِها الرغبةُ في التزيّن وإظهارِ الجمال، وهذه رغبةٌ فطرية لكنها تزدادُ مع ضَعْفِ الدّين، وقلّة التربية مما يُحَمّل الفتاة أعباءً نفسية، وقلقًا ذهنيًا متصاعدًا من حيثُ: لون البشرة، وطول القامة أو قصرها، والنحافة أو ضدها وكبر الأنف أو ضيق العينين.. ونحو ذلك..

فهذه همومٌ نفسية، وقيودٌ ذهنية تنعكسُ على الفتاة.. ولقد أظهرتْ دراسةٌ اجتماعيةٌ بواشنطن أن الفتيات اللاتي تجاوزن الـ ١٢ عامًا أكثر عرضةً للكآبة النفسية من أقرانهن

الذكور لانشغالهن بالتفكير في المظهر الخارجي، ويَقِلّ هذا الشعور عندما تحسّ الفتاةُ بالرضَا عن نفسها.

وَهُنَا يَأْتِي الحِجَابُ

ليطمئنُ الفتاةَ أن أحدًا لن ينظر إلى مفاتن جسدها التي تقلقها لأنها مستورةٌ بزيّها الشرعيّ، وأن قيمتها الحقيقية في دينها وعفتها، وخُلُقها.

❋ ❋ ❋

مِنْ عَلَامات الفَلَاح: سَجْدَةٌ بَعْدَ غفلة، وتوبةٌ بَعْدَ ذَنْب

ومضة:

إذَا رأيتَ الله يزيدُ غَيْرك وأنتَ لا تَطْلُبُ،

ويُقَربُ سِوَاك وأنتَ تَبْعد.. فَاعْلَمْ أَنَّه الغضبُ والعَذَاب.

وهنا يأتي الحجاب

ليريحَ الفتاة من عناء متابعة الموضة، وقَصّات الشعر، وألوان المكياج، ونحو ذلك، ولقدْ أظهرتْ دراسةٌ لإحدى شركات التجميل جاء فيها أن سبعةً من كُلّ عشر نساء فوق الخامسة والثلاثين من العمر يقُمْن بصباغة الشّعر عندما يظهرُ فيه الشّيب، قلقًا منهن من تقدم العمر، لكن الحجاب شيبتك، ويخلصك من قلقك.

٢-الحجاب حُريّة في السّير:

فمثلًا: إن رؤيةَ السائقين لمناظر العرى، والتبّرج قد تدفَعُهُم تلك الرؤية للنّظَر غافلين عن الطريق مما يسبب حوادثَ كثيرة...

وهذا الذي قاله مديرُ شرطة مدينة (جورج تاون) إذ طالب بضرورة البحث عن حلٍّ لمنع ارتداء النساء «الميني جيب».

لَأن السائقَ يركّزُ اهتمامه على جسد المرأة بينما تتركّزُ سيارته في سيارةٍ أو عمود أو مار بالطريق..!!!

والسّؤال

هل من حقّ المرأة الخروج عاريةً من المنزل؟ يقينا الجواب بالإجماع: لا.

فإذا كانتْ المرأةُ لا تملكُ الخروجَ عاريةً فإنها لا تملك كذلك الخروجَ كاسيةً الذّراع أو الشعر أو الصدر أو... إلخ؛ لأن السّتر لا يتجزأ، والحشمة لا تنقسم، والشهوة لا تتغير والغريزةُ لا تتطور؛ ولنعتبر بصيْحَات الغرب التي تنادي بضرورة وضع قوانين لمنع اغتصاب النساء في العمل أو التحرش بهن في الطريق.

٢١- الحِجَابُ كَرَامَةٌ:

إنَّ الثقافةَ التي تؤدي إلى اختيارِ الثيابِ على أساسِ إبراز مفاتن الجسد هي ثقافةٌ قهريةٌ؛ لأنَّ المرأةَ التي تختارُ هذا الثوب إنما تعبدُ في الحقيقة مفاتنها، فلأجلها تعملُ، ومِنْ أجلها تتحرك، ولا يخفى أن للتبرج دورًا في الاهتمام بالجنس، كما لُوحِظَ حتّى في عالم الحيوان أنّ الطيور تزدهي بأبهى ريشها وألوانها وقت الربيع «وقت التزاوج بين الطيور».

فَتَرْكُ الاحتجاب يختزلُ اهتمامَ النّاس في النصف الأسفل من الجسد وهذا اختزالٌ يحطّ من قدر المرأة كإنسانٍ (خليفة الله في الأرض)، كإنسانٍ (يُربي الأجيالَ ويُدَعِّم الفضيلة) كإنسانٍ (ينشرُ المعروفَ، ويبذر الحنانَ).

فحجابك كرامةٌ لأنه يسمو بك أن تكوني مجردَ أداةٍ للكسب بتعرية جسدك في

الإعلانات، وموضات الأزياء. أهذا يليق بكرامتك – بإنسانيتك؟ كلا بلا ريب.

٢٢- الحِجَابُ صِيَانةٌ وعِزّة:

إنَّ الغربَ ولقطاءه من الأذناب عظّموا في المرأة جانبها الأنثويّ وتَمّ حصرُ كثيرٍ من اهتماماتها في جغرافية الجسد التي على المرأة أن تجمّلَها وتزيّنَها حتى تفوزَ بنظرةٍ أو كلمةٍ، أو تكونَ نجمةً مشهورة في عالم الأزياء أو الفن أو... إلخ.

وهذا امتهانٌ للمرأة أن تتحولَ إلى سلعةٍ في السّوق الاستهلاكي: سُوق النخاسة والمتاجرة بالمرأة.

من هنا كان لَابُدَّ من لفت النظر إلى أنَّ المرأةَ هي إنسانٌ مبدعٌ، مشاركٌ في كل نهضة راشدة، وعملٍ صالح، والحجابُ الشرعيّ ينادي للناس أن افْهَموا حقيقةَ المرأة فهي ليستْ جسدًا تقدره حينًا، وعندما يمرض تُلْقِى به في القمامة، وهذا ما يصنعه التبرج، فقيمتك هي جسدك، أما الحجاب فهو صيانةٌ من الضياع، من النظرة السيئة، من الفهم الخطأ لوظيفتك في هذه الحياة.

إنَّ اللّيل والنّهار رأسُ مال المؤمن
ربْحُهما الجنّة وخُسْرانهما النَّار.

والمتدبرُ يجدُ ثبوتا نسبيًا في أزياء الرجل؛ لأن صورته ومظهره لم يطرأْ عليهما تغيير كبير وذلك لوضوح دوره الفكري والعضلي والتنافسي والعلمي في الحياة، لكن المرأة غير ذلك.

من هنا جاءَ فرضُ الحجاب صيانةً وعزةً لها لتلتقي مع الرجل في علاقة شرعية هدفها: إعمار الكون بطاعة الله سبحانه.

* * *

حكمة:

مسكينٌ ابنُ آدمَ!! لو خافَ النَّار كمـا يخافُ الفقرِ دَخَل الجنَّــة.

والآن

لعلك تسألين ماذا لو لم ألتزمْ بالزيّ الشرعي...؟

تعالي معي لنَرى سَويًا بعضًا من آثارِ هَجْرِك الحجاب، ومخالفتك أَمْر مَوْلَاك سُبْحانه:

١ – عَدّاد السّيئات لا يَتَوقّف!!

أَيَحْدُثُ هذا؟ نَعَمْ.

لأن المتبرجةَ امرأةٌ لكلِّ الرجال

فالمرأةُ التي تخرجُ من بيتها، وقد تزينتْ بأَبْهَى زينتها، وارتَدَتْ أفخرَ ما عندها من ثياب، وتحلّتْ بما لَدَيها من حُلي، وصبغتْ وَجْهَهَا بما قدرتْ عليه من أصباغ، وأرسلتْ شَعْرَها على أجمل ما يكون، وتعطّرتْ بعطْرها النَّفاذ، ولبستْ من الأحذية ما يكفلُ لمشيتها التثنيّ والتمايل والإغْراء والإغواء.

وكأنها بهذه الكيفية تقولُ: «ألا تنظرون إلى هذا الجمال؟ هل مِنْ راغبٍ في القرب والوصَال؟ إنها تعرضُ جمالَها في أسواق الشوارع كما يعرضُ التاجرُ المتجولُ سلعتَه ليجذبَ الأنظار.

فبالله: كيفَ تقبلُ الشريفةُ العفيفةُ عَرْض جمالها في السوق سلعة رخيصة تتداولها الأعين؟ وكيف يرضى لها حياؤها أن تكونَ مبعثَ إثارة شهوة في نفس رجل يراها؟

أختاه مهلًا:

عند سيرِك في الشارع لو نَظَر إليك مائةُ رجلٍ مجرد نظرة... هذه مائةُ سيئة.

- لو أَنَّكِ في الجامعة ونظر إليك ألف رجلٍ... هذه ألف سيئة.

- لو وقفتِ مع شِلّتك المختلطة وسط ضحكات ومصافحة وكلام جد وهزار....

كم تكونُ السّيئات..؟!

- وعند عَوْدتك لمنزلك: كَمْ وضعْتِ في رصيدِ سيئاتك، من النظر الحرام إليك، من التفكيرِ في الحرام بسببك، من حبّ تقليد تسريحتك وزيّك، من إعلانِ رفضك حكم الله وحكم رسوله ﷺ،... إلخ.

ألم تعلمي: أنّ مَنْ تحركتْ شهوتُه بسببك... **في رصيدِ ذُنوبك؟**

- أنّ تكثيرك لعدد المذْنبِات المخالفات لشرع الله.. **في رصيدِ ذُنوبك؟**

- أنّ استهانتك، ودفع غيرك للاستهانة بالحجَاب.. **في رصيدِ ذُنوبك؟**

- أنّ إضعافَك لجهاز مناعتنا، وتدمير بنياننا الاجتماعي.. **في رصيدِ ذُنوبك؟**

* أنَّكِ الخنجرُ الّذي استخدمه أعداؤنا لتمييع الدين وفرائضه. باسْمِ الموضة، والتطور، والحرية وهذا.. **في رصيدِ ذُنوبك؟**

* لأن السيئةَ قسمان: سيئة العمل وهي التي يفْعَلُها المرءُ للمرة الأُولى، وَسّيئة الجزاء وهي التي يفْعَلُها عقوبةً له على معصيته الأُولى.

فلو أنَّ الله عَصَمك ورضى عنك لما سَلّمك لعدوّه يتلاعبُ بك. فمعصيتك تلو المعصية أمارةُ هوانك على الله وبُغْضِه لَكِ.

ألم يَحُنْ الوقتُ لإيقافِ عَدَّاد السّيئات؟ ها هي الفرصةُ موجودة، والبابُ مفتوح، فأقبلي ولا تترددي.

٢- عقوبةٌ وهَلَاك: إنّ لكلّ ذنبٍ عقوبةً يقدّرُها المولى سُبْحَانه فكما أنَّ الله يملكُ المغفرة، فكذلك سبحانه يملك العذاب، فإبليس لُعِنَ وطِردَ من الجنة بتركه سَجْدة، وآدم خرج منها لتناوله لقمة، أفتأمنين أن يحبسك في النار بمعصية، فاحذري فإنَّ مُعْظَمَ النار من مُسْتَصْغر الشرر.

- وأسألُكِ: مَا الّذي دَمّر علاقاتنا الاجتماعية: **إنّهُ الذنبُ.**
- مَا الّذي نـزعَ البركةَ من أموالنا وديارنا وأهلنا؟ **إنّهُ الذنبُ.**

- ما الّذي أصابَ بناتنا بالعنوسة وقلة الزواج؟ **إنّهُ الذنبُ.**

وصدق ربنا سبحانه: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

لأن المولى سُبْحانه جَعَل عقوبات الذّنوبِ في الدّنيا نوعين: عقوبات شَرْعية مثل تطبيق الحدود كحدّ السّرقة مثلًا، وعقوبات قَدَرية: مثل المصائب التي تَنزلُ على العباد... مثل قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾، وهذه أصعبُ وربما أشدّ، لأنها تنزلُ على الجميع بخلاف الشرعية التي تخصّ صاحبهَا فقط وأسألك: تبرجّك أيضُرّك بمفردك أم يضُرّ المجتمع؟ أيؤذيك أنتِ أم يؤذي غيرك؟!

الجواب معلوم لهذا فالتبرج من عوامل غضب الله على المجتمع، ومَنْ مِنَّا يستطيعُ الوقوفَ أمام غضب الملك القهار؟!

وأذكّرك بقوله ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»[١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٥) عن أم سلمة هند بنت أبي أمية.

الله أكبر، زوجات النبي ﷺ الطاهرات العفيفات يوقظهن النبيّ ﷺ للصّلاة والدّعاء، لهوْلِ الموقف. أختاه: ما الّذي يوقظك اليوم؟ ما الّذِي يُحرّكُك؟ إذا كَانَ هذا فِعْلُه ﷺ مع الطّاهرات أمهاتِ المؤمنين فما البالُ بنا نحن أصْحَابُ المعاصِي والذّنوب؟!

٣- اليقين بالعقوبة:

إن استحضار عقاب التبرج ضرورةٌ كُبْرى، فَمَنْ علم العقوبة سعى للنجاة بلا ريب- إن كان عاقلًا-.

وإليكِ نصّ إحدى العقوبات: قال ﷺ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَام ثُمَّ آمُرُ رَجُلًا فَيُصَلِّى بِالنَّاسِ ثُمَّ أَنْطَلِق مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»(١).

هذا لمن تَكَاسَلَ عن عبادةٍ فكيفَ بالمتكاسل عن سائر العبادات؟

أو ليس حِجَابُك عبادة؟ أو ليس تبرجك معصية؟

يا موفورة العقل، يا حسنةَ الوجه، يا جميلةَ المظهر....

---

(١) البخاري (٦٤٤)، ومسلم رقم (٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

لِمَ تُسَوِّدين وجْهَك في الدّنيا بذُلّ المعصية، وتحرقينه في النار بشُؤْم الذّنب؟ ها هي الفرصة أمامك لتحولي صحيفتك إلى بيضاء مشرقة.

- ألم يصلك خبر (هند بنت الحارث) (كانت تُزرّر أكْمَامها لئلا يظهر من يديها شيء)[(١)]؟ ماذا لو عقلت قوله ﷺ (وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِلاتُ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ)[(٢)]؟

- ماذا لو تذكّرْت أمر فاطمة بنت النبي ﷺ التي أخذت تُفَكّر في أمرها على النَّعش بعد الموت، فقالتْ لأسماء بنت عميس: إنَّي استقبحتُ ما يُصْنعُ بالنساء يُوضَعُ عليهن الثوبُ فتضيقُ الأعضاءُ لكل راءٍ، فقالتْ أسماءُ: أنا أُرِيك ما يُصْنَع بأرضِ الحبشة، ولقدْ رأيته حيثُ يُوضَعُ جريدُ النِخّيل عَلَى الميّت كأنه قبة وعليها ثوب فاسْتَحْسَنَتْ ذلك (فاطمة) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.[(٣)] ؟

(فاطمة) تَخْشَي من تحديد ملامح جسدها وهي ميتة.. فما البالُ وهي حيّة؟

وكما يحسبُ التاجرُ تجارته يجبُ على كُلّ مسلمة أن تحسب حياتها، وتتدبر أَمْرَها

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٤٤).

(٢) أخرجه البيهقي (٧/ ٨٢) من حديث أبي أذنية، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه البيهقي (٤/ ٣٤)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ١٢٨.

عَلَمنَا ذلك سفيانُ الثّوري رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «حُرِمْتُ قيامَ اللّيل خمسةَ أشهرٍ بذنب أذنبته» هذا رجل يخشى رَبّه لهذا فالشهور لم تُنْسه ذَنْبه إجلالًا لمقام ربه سبحانه.

- وبنفس المنطق قال أبو سليمان الداراني لأخ له، واصفًا حال الصالحين: «قلّتْ ذنوبُهم فعرفوا من أين يؤتون.. وكثرتْ ذُنوبي وذنوبك فليس ندري من أين نُؤْتى».

وصدق ربنا ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠]، ويُفَسّر النبيُّ ﷺ هذه الآية بقوله «ما اختلج (اضطرب) عِرْق ولا عين إلا بذنْبٍ وما يَدْفعُ الله أكثر»[(١)].

فَيَا أُخْتَاه:

* سَلى نفْسَك:

- كَمْ أَطْلقتِ بَصَرك فَحُرِمْتِ فَهْم بصيرتكِ
- وكَمْ أَطْلقتِ لِسَانك فَحُرِمْت صَفَاء قلبكِ
- وكَمْ خَالفتِ وعصيتِ فَحُرِمْت لَذّة المناجاةِ
- وكَمْ هَجَرتِ أمْرَ ربك وخالفت سُنّة نبيك

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١٠٥٣) من حديث البراء بن عازب، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢١٥).

وَتَوالَى عليك النّصح فما اهْتَمَمْتِ، ووَصَلَتْكِ النُّذُر فما تَدَبَّرْتِ؟!

أفبعْد هذا تَسْأَلين لماذا أشْعُر بضيقٍ أو بُحْزن أو... أو...؟ ارجعي لربّك تسعدي.

١- **سَلْب القبول:** قال سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، يأتي عبدٌ يوم القيامة بأعمال ظاهرُها الصلاحُ كالصّلاة والصيام ونحوها ولكنها في الميزان لا وزنَ لها، لأن الله لم يَقْبلْها ولقد عَلمْتِ شرطي القبول (الإخلاص لله، والمتابعة للنبي ﷺ) وأنت بتبرجّك عاديت الله وخالفت رسولَه فأيّ عمل تتوقعين قبوله، وترجين ثوابه؟!

ويا لقوله ﷺ: «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبدَ من الدُّنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج»[1].

عجيبٌ

أَلّا يُلْبَسَ الحجابُ إلا عِنْدَ الصّلاةِ

وأَلّا تُسْتَرَ العورةُ إلّا بالكَفَن!!

---

(١) أحمد (١٧٣١١)، والطبراني في التفسير (١١/ ٣٦١) من حديث عقبة بن عامر، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤١٣).

فلا يغرنك جمالك، أو مالك، فكلّ نعمةٍ لا تقربك من المُنْعِم فهي نقمةٌ، وكُلّ عطيةٍ تصرفك عنه فهي بلية.

أَلـمْ يُحذِّرك النبيّ ﷺ (مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ تَعصِفُ رِيحُهَا فَيَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا صَلاةً حَتَّى تَرْجعَ فَتَغْتَسِلَ)؟(١) تخرجُ إلى المسجد لا يقبلُ اللهُ صلاتها، فما البال بمن تخرجُ إلى... وإلى... إلخ فأيّ قبول مِنْ ربّك تطمعين؟ وأيّ نجاة تأملين؟

٥- عَدَمُ دُخول الجنَّة ولا شَمّ رائحتها: أيمكن تخيّل هذا؟ الحرمان من الجنة.. نعم أخبرنا بذلك النبي ﷺ: (صِنْفَان مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ. لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)(٢) .

معجزةٌ نبويةٌ

هذا الحديث من معجزاته ﷺ حيثُ أخبرَ فيه ببعض ما سيحدث في المستقبل:

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٦٣٨٥)، والبيهقي (٣/ ٢٤٥) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في جلباب المرأة ص١٣٨.

(٢) رواه مسلم برقم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَاسِيَات عَاريات

كاسياتٌ: بملابسَ لكنها مخالفةٌ للشّرع، كاسياتٌ بمدارسَ وشهادات لكنها عاريةٌ من القيم والمُثُل، كاسياتٌ بصُحبةٍ وأهل لكنها عاريةٌ من الوفاء لدينها، كاسياتٌ من الثّياب عاريات من خشية الله، وربّنا سبحانه يقول: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف ٢٦].

- **مائلاتٌ:** عن طاعة الله سبحانه، معجباتٌ بجسدهّن يتمايلنْ في مشيتهنْ.

- **مميلاتٌ:** أي تفتن وتُميل قلَب الشباب، فهي مائلةٌ زائغة، بل وتعلم غَيْرَها الانحراف عن طريق الله سبحانه.

- **(رؤوسهن كأَسْنِمَة البُخْتِ):** أي: فوقَ رأسِها قُبَّة (ما يعرف بالكحكة) كي ترفعَ حجابها لتقولَ للناس ها أنذا ؟!

فهنا العرى: عُري الحسنات لا الأجساد فقطْ لأنّ الكلّ عارٍ يوم القيامة أفبعدَ هذا التحذير من النبي ﷺ تهجرين حجابك؟!

٦- الّلعنُ والطّردُ من رحمة الله: مَنْ أنا ومَنْ أنت دون رحمة الله؟ والله لو أنّ بولة حُشِرَتْ في الجسد لهلكْنا، فلولا رحمةُ ربّك مَا سَارتْ قَدَم، وما تَحَرّكَ قَلْبُ، وما نَظَرَتْ عين.

أَلمِجُرد زيّ تُطْرَدين من رحمة الله؟ نَعَمْ، أخبرك بذلك النّبيُّ ﷺ بقوله: ((سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنزلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»[1].

- بالله عليك أليسَ هذا مِنْ دَلَائل النّبوة وصِدْقِه ﷺ ؟ فلقد أبصر ﷺ- بوحي من الله- نماذجَ من التناقُض السّلوكيّ والانقسَام النفْسِيّ والاجتماعي مِن ذهابِ هؤلاء الكاسياتِ العارياتِ مَعَ أهْليهم للمساجد للصّلاة هكذا زَعَموا!! أيّ صلاةٍ هذه؟ وأية مَسَاجد؟! وأنت تلبسين ما يُفَصّل العورة، ويبرزُ مواطنَ الفتنة دون خضوعٍ لشرع، أو تنفيذٍ لسُنّة الرسول ﷺ ؟

لذا تواترتْ أحاديثُه ﷺ منبهةً لكِ ومحذرة كما جاء في الحديث: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لُبْسَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لُبْسَ الرَّجُلِ»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٠٨٣)، وابن حبان (٥٧٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو، وحسنه الألباني السلسلة الصحيحة رقم ٢٦٨٣.

(٢) تقدم تخريجه.

واللعنةُ هي الطّرد من رحمة الله، ولن تكونَ إلا على ذنبٍ عظيم، أوليس هجر الحجاب ذنبًا، وشرًا عظيمًا؟ أوليس رفض كلام الله، وترك سنة نبيه ﷺ ذنبًا وشرًا؟

٧- الوصْفُ بالزّنا: يا لقبح الوصْف!! لعلّك الآن غضبتِ، هل معقولٌ لمجرد خَلْع الحجاب الشرعيّ أن أُوصف بأبشع الكَبائر (الزنا)؟!

أختاه لسْتُ أنا الواصفُ بل اسمعي قوله ﷺ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ لِيُوجَدَ رِيحُهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ)(١).

هذا وصفٌ من أجل قطرات من الرائحة!! فما البال بكشف الشعر والساق والصدر.. إلخ؟!!.

٨- الوصْف بالنفاق: لقوله ﷺ: (شَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِلاَّتُ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلاَّ مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ)(٢). فالمتبرجة شر الخلق وهي منافقة أتعلمين أين سكني المنافقات؟ ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

٩- خصومةُ جَسَدك لَكِ: أنتِ تريدين التمتّع بما أنعم اللهُ به عليك من الأعْضَاء

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وعندك الرغبةُ في إظهارِ جمالك، ولا خلافَ في ذلك، لكنّك أَخْطَأْتِ الطّريقَ؛ لأنَّ إظهارَ نعمِ الله على العبد له ضوابطه، ومن أهمها استعمالها فيما يرضي المُنْعِم سبحانه، لذا اعلمي أن أعضاءَك التي تَفَاخَرْت بها سَتَلْعنُكِ، بل وستتبرأُ منك.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ»؟ قَالَ: قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبُّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[1].

- نعم: الأرضُ ستشهدُ كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ .

- والملائكة ستشهد كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ ، والجوارح ستشهد كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ ، والمولى سبحانه ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

- هَلَّا تدبرت أَمْرك: شَعْرُك الذي تفتخرين به سيلعنكِ بين يدي الله، وسَاقُكِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

المكشوف سيتبرأ منك، ولن ينفع عندئذ الندم!!

١٠ - التَبَرَّجُ سواد وظلمةٌ يوم القيامة:

- فالمتمايلة في مِشيتها، والمفتخرةُ بجسدها، والكاشفةُ لعوراتها تأتي يومَ القيامة سوداء مظلمة، وذلك لأنّ اللذةَ في المعصية عذاب، والشِّبَعَ جوع، والبركةَ مَحْقٌ، والطِّيبَ نَتنٌ، والنوُرَ ظُلْمَة، بعكس الطاعات، فإن خلُوفَ فم الصائم، ودم الشّهيد أطيبُ عند الله من ريح المِسْكِ، وهكذا فكما أن حجابك نور وخير؛ فكذلك تبرجك سوادٌ وهمٌّ.

- وإليك قوله ﷺ: «لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا»[١].

فائدة

من علامات الشقاء: بدن مُعَطّل عَنْ طَاعِةِ الله، ووقتٌ مشغولٌ في الباطِل، وعقلٌ يفكّر فيما لا ينفعُه، وقلب غافل عن أُخْراه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦).

- فالتّبرج فاحشةٌ ومعصية بلا خلاف، وبسببه وبسبب غيره من الذنوب ابْتُلِينا بأمراضٍ لم يسمعْ عنها أجْدَادُنا.

- والتبرّج ذنبٌ لأنه يُيَسّر معصيةَ الزّنا بالعين، كما قال ﷺ: «العينان زناهما النظر»(١)، كما يُعَسّر طاعةَ غضّ البصر التي أُمِرْنا بها إرضاءً لله سبحانه وتعالى.

- وهو ذنبٌ يوجبُ نـزولَ العقوبات العامة المُدَمّرة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

- **من هنا وجب فَهْم** قوله ﷺ: «اعْزِلِ الأذي عن طريق المسلمين»(٢)؟ فإذا كانت إماطةُ الأذى عن الطريق من شُعب الإيمان التي أَمر بها رسولُ الله ﷺ، فأيُّهما أَشَدُّ أذىً: شوكةٌ وحَجَرٌ في الطريق، أم فتنةٌ تُفْسِدُ القلوبَ، وتَعْصِفُ بالعقول، وتُشِيعُ الفاحشةَ في الذين آمنوا؟

أَيّهما أشدّ أذى: شوكةٌ في الطريق أم امرأةٌ تنادي شعورُها وسيقانُها وصدورُها عَلَى المارّين أن انظُروا!! وكأنها محلٌ متنقلٌ ينادي على رُوّاده. أي تعدٍّ هذا؟ وأية جرأةٍ هذه

(١) مسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة.
(٢) مسلم (٢٦١٨) من حديث أبي برزة.

على محارم الله؟ وأية مخالفة صريحة واضحة لأوامر المولى سبحانه وهدي النبي ﷺ؟!

إنه ما من شابٍّ مسلمٍ يُبتلَي مِنْكِ اليومَ بفتنةٍ تَصْرِفُهُ عن ذكر الله، وَتصُدُّه عن صراطه المستقيم، كان بُوسعك أن تجعليه في مَأْمَنٍ منها، إلا عاقبكِ الله عقابًا عظيمًا جزاءً لذنبك.

* * *

حكمة

عجيب ابن آدم! يَسْرِقُ اللّصُّ مَسْكَنه فَيَحْزن، ويَسْرِقُ الشّيطانُ دِيَنه فَلَا يَنْتبِه.

وَمَاذا بَعْد؟

أختاه: أَعْلَمُ بوجود الخير داخلك، وأنّك لا تَعْصين الله قاصدة، وإنما هو حبّ الظهور ومُسايرة الموضة والزميلات، ولكن ما دامَ هذا يثير الفتنَة، ويغضبُ ربك، ويُؤَدِّي للإساءة إليك؛ فعليك ألا تُصرِّي على ذلك رحمةً بنفسك، وطاعةً لربك.

أختاه: تخيّلي بعضَ الملتزمات في عقلك، واسألي نفسك: أَلَا أستطيعُ أن أكونَ واحدةً من هؤلاء؟ كيف نجحن؟ والمجتمع هو المجتمع، ولهن شهوات وأمامهنَّ عوائق كما أنت تمامًا؟ فكيف نجحنْ في التوبة ولم تقدري أنت؟

ولعلك تسألين: كيف أُشَجّعُ نفسي على الحجاب؟

ها هي بعض مقويات العزم، ورافعات العزيمة عَلّها تساعدُك على النهوض، خاضعةً لأمر ربك سبحانه.

١ - استشعارك جلالَ وعظمة الزيّ الذي تلبسينه:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فَزَيّك هو زيّ المؤمنات الموعودات بما في الآية السابقة من نعيم، فيا بشراك بهذا الثواب العظيم.

٢- تذكّرك فرحة الله عز وجل بتوبتك:

إن الله سبحانه - يفرحُ بتوبة عبده، ويبدلّ له السيئات حسنات عند رجوعه إليه، كما قال سبحانه: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]، وكما قال ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَقَامَ يَطْلُبُهَا، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ حَتَّى أَمُوتَ، قَالَ: فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»[١].

- والمصيبةُ كُلّ المصيبة، أن تعلمي الحقَّ وتؤمني به، ثم لا تتجهي إليه بخطوة أو بعزم كأن الأمرَ لا يعنيك، أو كأنّ الذي شَرّع هذا الحق وأَمَر به لن تطولَك يدُه، ولن يبلغَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

إليك بطشُه وسلطانُه، فهذا سلوكٌ يؤدي إلى غضبه عَزَّ وجَلَّ والتعجيل بعقوبته.

وعقوبة الدنيا هنا لا تتمثل في مصيبةٍ عاجلة، وإنما تتمثلُ في انغلاق العقل وقسوة القلب، فلا يؤثر في أحدهما تذكير ولا تخويف ولا تنبيه مهما كانتْ الأدلةُ واضحة والنُذُر قريبة...

حتى إذا جاء الموت تحول انغلاقُ العقل وقسوة القلب إلى ندمٍ يحرقُ الكبدَ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

- أليس من الظلم عِلْمُك بوجوب الحجاب ثم تهجرينه وكأن الخطابَ لغيرك؟!

- إن عوائقَ التوبة عند الكثيرات ليس عدم الاقتناعِ، بل هو الشعورُ بعدم القدرة على التغيّر، أفلا تُعْتَبرُ الفتاة الملتزمةُ قبلك نموذجًا لك، ودليلًا على أن عدم القدرة لا يعدو أن يكونَ وهْمًا نصطنعه؟! فماذا يمنع أن تكوني أنت واحدةً من هؤلاء؟ وما الذي يحولُ بينك وبين ذلك؟ فانهضي ولا تُسَوّفِي، وسَلِي الله العون والإخلاص.

وأبشري بالراحة الحقة فلقد قيل للرسول الله ﷺ: ماتتْ فلانة فاستراحتْ،

فغضب ﷺ وقال «إِنَّمَا يَسْتَرِيحُ مَنْ غُفِرَ لَهُ»[(١)] .

١ – استحْضَار النّار وهَوْلِها.

النَّار: ألم تعلمي نداء أهلها: يا مالكُ قد حقّ علينا الوعيدُ، ونضجتْ منا الجلودُ، أخرِجْنَا منها فإنَّا لا نعود... فيأتي الردُّ الحِاسم ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ !!

النَّار: التي كُسِيَ أهلُها ثيابًا من نار، وكانَ العُري خَيْرًا لهم، وأُعْطُوا الحياةَ وكانَ الموتُ خيرًا لهم، بالله عليك ألك طاقة على لحظة واحدة من المكوث فيها؟

النَّار: التي قال عنها ربُّنا سُبْحَانه: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ أي عطاشًا لا يذوقون فيها شربةَ ماء إلا من الحميم الذي يغلي في البطون ويفتتها.

النَّار: التي فيها الحرمان كما قال سبحانه: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾ [سبا: ٥٤] تشتهين الشّراب ولا شَراب إلا مِنْ نار، تشْتَهين الطعام ولا طعاَم إلا من نّار... وتشتهين... وتشتهين ولا شيء إلا الحسرة والحرمان.

ومضة :
ابْعِثِي إِلَى صُنْدُوق قَبْرك مَا يَسُرّك يومَ الوصُولِ إليه

---

(١) أحمد (٢٤٣٩٩) من حديث عائشة، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧١٠) لشواهده.

أختاه

يا من بَهَرَتْكِ الأضواءُ... وشغلتْك الأنظارُ، وألهتْك الموضاتُ، وأسَعَدتْك آهاتُ الإعجاب، تخيّلي قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنّ جهنّمَ سوداءَ مظلمة لا ضوءَ لها ولا لهب» كيف حالك وأنت في زاوية من زوايا جهنم تبكين دومًا، وأبوابها مغلقة، وسقوفها مطبقة، وهي سوداء مظلمة لا رفيقَ تأنسين به ولا صديقة تسكنين إليها، ولا نومَ يُريح، ولا طعامَ يَشْفى، يا جميلةَ المنظر، يا حسنةَ الوجه، يا طيبة الخلق:

إن استطعْتِ ألا تُسَوّدي وجْهَك بلفحةٍ من النار فَافْعَلي، وها هُو السبيلُ: طاعة مولاك..، فمن الغباء أن يأتي العبدُ ما يكرهه مولاه سبحانه ويطلب منه ما يحبه**!!**

أختاه

- حين تُعْرضُ أمامك شهوةُ الملبس والموضة.. **فتذكّري: «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»**.

- حين تنوين الخروجَ من المنزل بزينتك ورائحتك... **فتذكّري: «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»**.

- حين تتكسّرين في مشيتك، وتتغنّجِين في صوتك... **فتذكّري: «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»**.

- حين يلهو مَنْ حولك، ويَعْصى مَنْ بجوارك، ويُزيّن لك الشياطينُ فعلَ السوء أَعْلنيها واضحةً كلَّا: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ .

- مَالَك لا تتذكرين نبيك ﷺ الذي جَاهَد واجتهد من أجل الإسلام، وضَحّى وصَحْبه بكلِّ شيءٍ وفي الأخير تشاركين الأعداءَ أزياءَهم وعاداتهم وتقاليدهم: لقد أضَعْت دنياك وخَسرتِ أُخْراك؟

- ألم تعلمي أن (آدم) عليه السلام طُرِدَ من الجنة لأكْلة، وإبليس لسجدة، وأن امرأة دخلتْ النارَ في هِرّة؟! فَلِمَ تستخفين بذنبك؟

- ألا تَعْلمي أن طعامَ أهل النار نار، ولباسَ أهلِ النَّار من نار؟! كما قَالَ سبُحْانه: ﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩] ما الذي يستحقُّ كُلّ هذا العذاب والهوان؟ ورَحِمَ الله مَنْ قال: (لو أنَّ ألمَ عرقٍ من عُروق الميت قُسّمَ على أهل الأرض لوسِعَهم).

حكمة

مَنْ نَافَسَك في دينك فنافِسْه، ومَنْ نَافَسَك في دُنْياه فألقِها في نَحْرِه.

٤- العيشُ في رحاب الفُضْليات الطَّاهِرات:

لتستحضري أُمّ سلمة ﵂ التي سَألَتْ النبيّ ﷺ عن اللّباس الخاصّ بالنساء فقال لها ﷺ يُرْخِينَ شِبْرًا، فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ ؟ قَالَ: فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ أقدامهن[(١)].

٥- اسْتِحْضَار ثوابِ الطَّاعات: فَمَنْ لَاحَ له حلاوة الأجر، هَانَ عليه بذلُ التعب، فبشراك بأنهار الحسنات التي تُبَدّد رصيد سيئاتك..

- فالتزامك أمْر ربَّك بارتداء الحجاب... **حسنة.**
- وتقليد مسلمةٍ لك في الخير... **حسنة.**
- وإعلانُك البراءة من المُوضة المنحرفة... **حسنة.**
- ومخالفتك لإبليسَ وتدمير مخططاته... **حسنة.**
- وإبطال كيد الأعداء... **حسنة.**

إنَّ استشعارَ حلاوة الأجر واليقين والعِوَض هو سائق النفس إلى العمل، ومحررها من الغفلة، فَمَنْ عَرفَ قدر السَّعلة هَانَ عليه دفْعُ الثمن.

---

(١) تقدم تخريجه.

كما قال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»[1] والمراد المسارعة إلى الصلوات قبل أوقاتها، وهكذا في سائر الأعمال الصالحة. فلو تعلمين ما في حجابك من الخيرات،... وما في التزامك من النعيم لاستمسكت به، ودعوتِ إليه، واعتززت بارتدائه، وبمثل هذه الأرباح تواترت الأخبار كما في قوله ﷺ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً»[2].

أفبعدَ هذا تَغْفَلين عن الصّلاة عليه ﷺ ؟

أفبعدَ هذا تتباطئين عن اتّباعِ هديه والتزام سنته ﷺ ؟

ولهذا قَالَ ابنُ رجب رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ لم يَعْرِفْ ثوابَ الأعمال ثقلتْ عليه في جميع الأحْوال»، وأخبرك ابن الجوزي: «مَنْ تَخايَل الثَوابَ خَفّ عليه العملُ».

نعم قد تجدين صعوبةً: تقولين لا أستطيعُ تركَ كذا، ولا فعلَ كذا، وهذا وهْمٌ كبيرٌ أن تتخيلي العجزَ عن تركِ الذنب، فلتجتهدي؛ لأنه لا طاقةَ لك على دفع فواتير المعاصي،

(١) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١) من حديث عبد الله بن مسعود، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٦٦٨).

فلا شيءَ أعَزّ عليك من نفسك، ولا أضرّ عليك من الشيطان والهوَى، ولا أربحَ عندك من التجارة مع الله، ولا سعادةَ أقوى من الفوز بالجنَّة فاستعيني بالله وانْهَضِي تائبةً لمولاك، عالمةً أن طريقَ الطّاعة مراحلٌ تُسَلّم أحدها الأخرى:

الأولي: مرحلة المعاناةِ والتكلّف.

الثانية: الأُلفة والاعتياد.

الثالثة: اللّذة والتمتع.

ورحم الله مَنْ قال: «جَاهَدْنا أنُفسَنا عَلَى الطّاعة سِنين فتمتّعنا بها سَائر عُمْرنا».

٦- اعْتزازك بقَدْرك وذاتك:

وكما قِيلَ: العُقُول الصغيرة تتناقشُ في الأشْخَاص، والعقول المتوسطة تتناقشُ في الأشياء، والعقُول الكَبيرة تتناقشُ في المبادئ.

فما أجْملك أنتِ صاحبة المبدأ الحقّ إن أحْسَنَ النّاسُ أحْسنتِ، وإن أساؤوا أحسنتِ؛ لأنك لم تذوبي في غيرك، وأعْلَنتِ استقلالَك الشَّخصي، وتَمَيّزك الفكْري.

٧- الدّعاءُ وصدق اللجوء إلى الله وطرح النّفْس بين يَدَيْه، ولِمَ لا؟

لو شَكَا أحَدُنا ألمًا لطلبَ الطبيبَ، فما بالُ آلام المعاصي تملؤنا وأوجاعُ الذّنوب

تغمرنا، ولا نستغيثُ بالله الخالق الرحمن؟! فأقرب طُرُق الوصول طَرْق باب المنعم سبحانه وتدبري قوله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ»(١). لماذا؟

- لأن الدعاء أمارةُ العبودية والعجز وقلة الحيلة وقمةُ الاعتراف بقيومية الله وعظمته.

- لأنه إعلانٌ أن الربَّ ربٌّ في عزّه وعليائه، والعبدُ عبدٌ في ضَعْفِه وهوانه، فلا خير إلا من عنده، ولا حول لنا إلا بأمره، فانهضِ لعبادة الدعاء، واحذري قوله ﷺ : «مَنْ لَمْ يسأل اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»(٢).

٨- تذكّر آثار التبرج وعواقبه: فترك غضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة.

٩- احْتِسَاب الأجر: والمراد أنْ تستحضري عندَ ارتدائك الحجاب كثيرًا من النّيات طَلَبًا لتكثير الحسنات ومنها:

* أجْرِ امتثال أمر الله سبحانه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢) من حديث أبي هريرة، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧) من حديث أبي هريرة، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤).

* أجْرِ الصبر على طاعة الله عز وجل.
* أجْرِ متابعة النبي ﷺ.
* أجْرِ الصبر على حرارة الجو.
* أجْرِ الاقتداء بالصالحات.
* أجْرِ حماية المجتمع من مناظر السوء والشر.
* أجْرِ تكثير سواد الصالحات.
* أجْرِ التّعاون على البر، فأنْتِ تعينين غيرك على هَذَا الزّيّ وعلى غضّ البصر...إلخ.
* أجْرِ الاستفادة من تجارب الآخرين، وعدم الوقوع في المحظور، كما قالتْ الكاتبةُ الأمريكيةُ (هيليان ستانيري):

«إن المجتمعَ المسلم مجتمعٌ كاملٌ وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمعِ أن يتمسكَ بتقاليده التي تقيدُ الشابَ والفتاة، ثم تقول: «ولهذا أنصحُ بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، فامنعوا الاختلاطَ وقَيّدوا حريّةَ الفتاة، بل ارجعوا إلى عصرِ الحجاب فهذا خير لكم من الإباحة والانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا.

- وتقول عارضة الأزياء (فابيان الفرنسية) بعد أن أعلنتْ إسلامَها: «إن بيوتَ الأزياء جعلتْ منيّ مجرد صنمٍ متحرك، مهمته العبثَ بالقلوب والعقولِ... فقد تعلَّمْتُ كيفَ أكونُ باردةً قاسية مغرورةً فارغةً من الداخل، لا أكونُ سِوَى إطارٍ يرتدي الملابسَ، فكنتُ جمادًا يتحركُ ويبتسمُ، ولكنه لا يشعرُ، ولم أكنْ وحْدِي المطالَبة بذلك، فكلما تألقتْ العارضةُ في تجرّدها من بشريتها وآدميتها زادَ قدرُها في هذا العالم القاسي البارد، أما إذا خالفتْ أيًّا من تعاليم الأزياء فإنها تُعَرّضُ نَفْسَها لألوانِ العقوبات، التي يدخلُ فيها الأذى النفسي والجسماني أيضًا».

* ثم تضيف قائلة: «عشتُ أتجولُ في العالم عارضةً لأحدثِ خطوط الموضة، بكلِّ ما فيها من تبرجٍ وغرور، ومجاراة لرغباتِ الشَّيطان في إبراز مفاتن المرأة دون خجلٍ ولا حياءٍ، ولم أكنْ أشعرُ بجمالِ الأزياء فوقَ جسدي المفرغ إلَّا من الهواء والقسوة، بينما كنتُ أشعرُ بمهانة النظرات، واحتقارهم لي شخصيًّا، واحترامهم لما أرتديه».

- وقدمت «أليس شفاوزر» الألمانية قانونًا لمكافحة الخلاعة واستغلال المرأة استغلالًا جنسيًا.

- وتقول «أندريا دوراكن» عالمة الاجتماع الأمريكية: «بدافع اللذة يربطوننا، وكأننا

قطعُ لحم، ويعلقوننا على الأَشْجَارِ، ويصورون الاغتصابَ، ويعرضُونه في السينما وينشرونه في المجلات».

- وتقولُ الممثلةُ المشهورة «بريجيت باردو»: «كنت غارقة في الفساد الذي أصْبَحْتُ في وقت رمزًا له، لكن المفارقة أن الناسَ أحبوني عارية ورجموني عندما تُبْتُ، عِنْدَما أُشَاهدُ الآن أحدَ أفلامي السَّابقة فإنني أبصقُ على نفسي، وأغلقُ الجهاز فورًا، كَمْ كنتُ سافلةً... قمة السعادة للإنسان الزواج... إذا رأيتُ امرأةً مع رجل ومعهما أولادهما أتساءلُ في سري: لماذا أنا محرومة من مثلِ هذه النعمة؟!».

١٠- استحضار الخوف من زوال النعم:

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

* * *

حكمة

مَنْ استعملَ التسويفَ طالتْ حَسَراته وزادت آهَاته

رباعية الشكر

ولكي تدومَ نعمك، وتكوني لربك شاكرة هذه هي البنود.

❋ أن تحمدي مولاك على ما أكرمك به.

❋ أن تعتقدي أن هذه النعم فضلٌ من الله وكرم.

❋ ألا تستعيني بنعمه على معاصيه.

❋ أن تستحي من مولاك أن تخالفي أمره بجوارح أنعم بها عليك.

- فيا من اعتززتِ بجسدك احذري فربّك قادر على أَخْذه

- ويا من اغتررتِ بجمالك انتبهي فربّك قادر على إذهابه

- ويا من سَعِدتّ بجاهك احترسي فالموْلَى قادر على زواله

تفكّري في سَمْعك وقد عُوفيتِ من الصمم، تأملي في نظرك وقد سلمت من العمى.

وتدبري عَقْلك وقد نجوتِ من الجنون. أتريدين في بصرك وزنَ الجبالِ ذهبًا؟

أتحبين بيعَ سمعك بكنوزِ الدُّنيا؟ هل تمنحين شعرك... ساقك... يدك.. لِمَنْ فقدهم؟

استحضري هذا... واحذري سلبَ النعمة فإن الله يُمَتِّع بالنعمة من شاء، كيفما شاء، حتى إذا لم تشكر قلبها عذابا.

وأخيرًا: أيّ الأصنافِ أنت؟

أولًا: نساءُ متبرجاتٌ بعيداتٌ عن شرع الله:

وهن النساء اللاتي وردتْ أوصافهن فيما سبق: «نساء كاسيات عاريات... مميلات مائلات... رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة».... نساء متبرجات تبرج الجاهلية الأولى! حيث كانتْ المرأةُ مجرد متاع مستباحٍ للرجال ليس لها حرمةٌ ولا قيمة تُذكر.

واليوم سقطت المرأة المسلمة بتبرجها، وخروجها عن سياق الفضيلة والخير.

- إن معصيةَ التبرج ليست معصيةً فردية بل هي معصيةٌ جماعية، تشترك فيها المتبرجة مع أولى أمرها الذين يَسْمَحون لها بذلك، ولا يمنعونها، ويشتركُ فيها أفرادُ المجتمع الذين لا يبالون بالنُّصح والبيان، لذلك فقد استحقتْ المتبرجةُ اللَّعن والحرمان من الجنة، بل وحَتَّى من شَمَّ رائحتها، واستحقّ وليُّ أمرها لقبَ الدَّيّوث، وهو الذي لا يُبالي بفساد أهله، وهو محروم من الجنة كما أخبر ﷺ، بالإضافة إلى أنه مسؤولٌ ومحاسبٌ أمامَ الله تعالى على سوء تربيته، وعدم عِنَايتِه بصلاح وإصلاح زَوْجتَه أو ابنته أو ذوات محارمه المتبرجات.

أما المجتمع فهو مذنبٌ لأنه لم يتكاتف كمجموع لمنع الشّر من بدايته، ويجبر كل

عديم للحياء أن يكفّ عن المجتمع شروره، كما قال النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[1] .

- ومن العجب أن نرى متبرجةً تدعو غَيْرها لترك الحجاب، فهي داعيةُ ضلالة ستحمل وزرها، ووزر كُلّ من تبعتها (أي يُجمعُ إلى سيئاتها مقدار من السيئات يساوي عدد سيئاتهن، مع معاقبتهن هن الأخريات بسيئاتهن أيضًا دون نقصان)، كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أثامهم مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارهم شَيْئًا»[2].

حكمة

ما توقّفَ مطلبٌ أنتَ طَالبه بربك، ولا تيسّر مَطْلبٌ أنتَ طالبُه بنفْسِك

(١) الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٢٣٣٠١، ٢٣٣١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثانيًا: نساء طائعات متدينات لكنهن أخطأن الطريق إلى الحجاب الشرعي:

إن بعضَ الطيبات يخرجن بشعورٍ مكشوفة، وسيقان ظاهرة، معتقدات أن طاعاتهن تكفي لإرضاء المولى، وأن الحجابَ ما هو إلا مظهرٌ، وهؤلاء غافلات عن قوله سبحانه: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فالله قرن النهي عن التبرج بالأمر بالصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله.

فكيف بالله يصح إسلامنا ونحن تاركين لفرائض الله سبحانه، ومنها فريضة الحجاب؟!

إن التي تؤدي بعضَ ما أمرها الله به، وتمتنعُ عن البعض الآخر (كالحجاب مثلًا) يكونُ حالُهَا كمن يختار من الشرع ما يعجبه، ويترك ما لا يعجبه، فتصبح في فريق مَنْ ذَمّهم الله تعالى بقوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

ثالثًا: المتحجبات المتبرجات

إن بعض النساء المسلمات يرتدين الحجاب، إلا أنَّ حجابهن هذا بحاجة إلى حجاب!

فهو ليس زيًّا شرعيًّا بالمعنى الصحيح، وإن ظنّت لابسته أنها متحجبةٌ، إنَّ ما ترتديه هذه المرأة من أزياء فاتنة، وملابس مزركشة زاهية، تلفت الأنظار، وتبهج العيون لهي أبعد ما تكون عن صفة الجلباب الذي ألزم الله تعالى به نساء المؤمنين، وسبق بيان صفاته.

رابعًا: المتحجبات المزيفات

وهؤلاء أشبه ما يكن بالمنافقات، فلا هُنَّ متبرجات خالصات، ولا متحجبات حقيقيات، مثل مَنْ ترتدي حجابها لعلة ثم تَكْشِفُ ما سُتِرَ منها كَمَنْ تلبسه في الطائرة، وعندما تصل إلى مقصدها تخلعه.

أو كمن ترتديه بحثًا عن زوج صالح بعد أن يئسن من العثور على زوج من شاكلتهن، فما إن تظفر به حتى تعلنَ عن حقيقتها، وتخلعَ حجابها، فتبدأُ المشاكل وتنشأ الصراعات.

وأذكّر هؤلاء بقوله سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨].

خامسًا: المتحجبات الصالحات:

وهن الخاضعات لأمره سبحانه، والملتزمات بهديه ﷺ، والمقتديات بالطاهرات العفيفات، فكوني مثلهن تسعدي في الدنيا والآخرة.

* * *

همسة خير:

إذَا فَشلْنا في رَفْع أحدٌ لقيم الحق، فلا تَدَعْه يَنْجَح في إنْزَالِك لطِبَاع الشّر.

ونطق العلم

- أثبتتْ البحوثُ العلميةُ الحديثةُ أن تبرجَ المرأة وعريها يُعَدّ خطرًا عليها، حيثُ تشيرُ الإحصاءات إلى انتشارِ مرض السرطان الخبيث في الأجزاء العارية من أجسادِ النّسَاء، ولا سيما الفتيات اللاتي يلبسنْ الملابسَ القصيرة، وجاء في المجلة الطبية البريطانية: أن الميلانوما الخبيثة- وهي من أنواع السرطان- صارت في تزايد، وأنَّ عدد الإصابات في الفتيات في مقتبل العمر يتضاعفُ حاليا حيث يصبنْ به في أرجلهن، وأن السببَ الرئيس هو انتشار الأزياء القصيرة التي تُعَرّضُ جسدَ النساء لأشعةِ الشّمس والأشعة فوق البنفسجية فترات طويلة على مَرّ السّنة، ولا تفيدُ الجوارب الشفافة أو النايلون في الوقاية منه.

- وتُشِيُر الأبحاثُ كذلك إلى أن الضغطَ الناتج عن ارتداء المتبرجَات للملابس الضيّقة يُسَبّب التهاب بطانة الرحم، ويُكَوّنُ خلايا سرطانية تنتقل للمبايض.

- وفي بحث للبروفيسور (جون ديك) خبير ضغط الدم بمعهد ودلفسون للطب الوقائي ببريطانيا قال: إنَّ التهابَ بطانة الرحم نادرة في الدول التي تَرْتدي فيها النساءُ ملابسَ فضفاضة، بينما نجدُ في الغرب أن أكثرَ الحالاتِ شيوعًا هي للنساء المرتديات

الملابس الضيقة لفتراتٍ طويلة، لذا طالبتْ (آن جيلا برنارد) رئيسة جمعية التهاب بطانة الرحم الوطنية الأمريكية من النساء تَجُنّب ارتداءِ الملابس الضيقة خاصةً أثناء الدورة الشهرية.

- وقال العالمُ السويدي (بارك فليترمارك): إن ارتداءَ النّساءِ للأحذية ذاتِ الكَعْب العالى تُسَبّبُ آلامَ الأقدام وتشوهاتها وتغيرات في القامة، وآلام الظهر والتهاب المَفَاصل، واخْتِلال التَّوَازن عِنْدَ المَشْي أو الوقوف.

❋ ❋ ❋

هَمْسة خير:

كُلّ نعمةٍ لا تُقَرْبُ من الله عزَّ وجَل

فهي بَلِيّـة.

وَقْفَةُ تَـأَمَّل

لو أنَّ السلطات الصحية في بلدٍ مَا أخبرتْ شَعْبَهَا أنّ نوعًا من الطّعام في السّوق مسمم، فهل سَيُقْبِلُ أحد على تناوله؟ وهل يجرؤ أحد أن يقول ليسَ من حق السلطات منع هذا الطعام أو مصادرته، فنحنُ أحرار في أكله؟! كلا.

هكذا الحجاب؛ لأنّ الأضرار الصحية لتركه يعرض المرأة للإصابة بسرطان الجلد نتيجة لتعرض بشرتها لأشعة الشمس مباشرة، تلك الأشعةُ التي تهدمُ أسوارَ الدفاع الذاتي الموجودة داخل جسمِ الإنسان، لذا تعتبر النساء أكثر عرضةً للإصابة بمرض سرطان الجلد من الرجال.

وأثبتت المجلةُ الطبية البريطانية أن سَرَطَان الجلد الموجود في المناطق المكشوفة من جسد المرأة أصبح في تزايد عقب انتشار موضة (الميني جوب) والملابس العارية والقصيرة...

فهل لو أصدر حاكمٌ ما في بلده قرارًا بمنع النساء من كَشْفِ أجسادِهنَّ حمايةً لهُنّ من السرطان، أمِثْل هذا يُتّهُم بمصادرة حرية المرأة؟ كلا...

❋ ❋ ❋

وَإِليْكِ المَزِيد

أولًا: اعلمي أن مناطِقَ العورة عند الرجل أو المرأة هي المناطقُ التي يزداد فُيها تأثّر الإنسانِ بالطّاقات السلبية التي تُضْعِفُ جسمَه، ولقد ثبتَ أن ما بين السرة والركبتين هي الأشدّ تأثرًا بهذه الطاقات عنْدَ الرجل، وتزدادُ عند المرأةِ بالإضافة إلى منطقة النحرِ، وخلف الأذنين، والشّعر، ولذلكَ من الَمهم جدًّا تغطية هذه المناطق.

ثانيًا: إن مسألةَ اختلافِ أحكام التغطية والحجاب بالنسبة للرجل والمرأة نابعةٌ من مستوى تأثرهما بهذه الطاقة؛ فالرجلُ الذي تُماثِلُ طاقته السماءَ حيثُ الشّمس والهواء لا خطرَ عليه من التعرّض لهما، بل بالعكس يجبُ أن يظلَّ على تماس بهما، حيثُ توجبُ عليه الخروج للعمل خارج المنزل، أما المرأة فطاقتها تُماِثلُ طاقة الأرض، حيثُ الماء والتراب، ويجب حفظُهما ورعايتهما، لذلك قيل إن خروجَ المرأة بشكلٍ متزايدٍ إلى الهواء الطلق من دون حجابٍ يزيدُ من احتمال تَعْرّضها للإصابة بالمرًض؛ بسبب تَماسّها مع الطّاقة السلبية.

ثالثًا: بعد ازدياد نسبة سرطان الجلد، وإثبات علاقته بالشّمس، ينصحُ الأطباءُ بتغطية الجسم، والتقليل من ساعاتِ التعَرّض للشّمس، وخصوصًا في الصّيف، حتى اخترعَ الغربُ لباس البحر الجديد الذي صُمِّمَ وفقًا للمقاييس العلمية!! – هكذا زعموا –

فأصبحَ يغطّي منطقةَ الصدر، ومنتصفَ الذراعين، وكامل الفخذين حتى الركبتين للكبار والصغار على حد سواء!!!.

رابعًا: بالنسبة لمنطقة البطن فهي تُعَدّ مركز الطاقة الدقيق للضفيرة الشمسية، وهُو مركَزُ الحياة والشفاء، كما أنه مركزُ التوازن العصبي الجسمي، وهذه المنطقةُ يجبُ أن تُحْمَي دومًا بتغطيتها.

وقد ثبتَ علميًّا أن درجة حرارة الجسم هي (٣٧،١) و(٣٧،٢) من تحت الإبطِ أو الفم، لكن منطقة البطنِ تكونُ درجة حرارتها أعلي (٣٧،٥) والسبب أنها منطقةُ استقلاب وتفاعلات كيماوية وحيوية معقدة، وهذا يتطلبُ دورانَ دم عالٍ، وإن ثباتَ هذه الدرجة ضروري لاستمرار هذه العملياتِ بشكلٍ جيد ومتوازن.

أما إذا هبطتْ وتساوتْ مع درجة باقي أنحاء الجسم فهذا يُؤَدي إلى اضطراب في عمليات الهضمِ والامتصاص؛ مما يُؤَدي إلى عُسْر في هَضْم، وتَشَنّجٍ في القولون؛ مما يؤثر على امتصاص البروتينات والفيتامينات والمعادن.

كَمَا أَنّ كَشْفَ منطقةِ البطن سيعرضُ الكليتين والحالبين والمثانة للخطر، مما يُسَبّبُ الكثير من الآلام.

يا لروعة الشرع!!!

من هنا نفهم أَنّ ما أمرنا الله به من تغطية بعض الأماكنِ الحسّاسة في الجسمِ بالنسبة للرجل، وأماكن أخري إضافية بالنّسبة للمرأة، ليس فقط لقبحِ إظهار تْلِك الأماكن أمامَ الناسِ، بل للأَضرارِ اّلتي ستصيبُ ذلك الإنسان لعدم رعايَته شؤون الحماية، فما أروعَ هذا الشرعَ العظيم الذي شَرَعه رب حكيم ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

* * *

ومضة:

سُبْحَان مَنْ نـزعَ لَذّةَ الحرام بمجرد الفراغ منها، فلا مُتْعة بقيتْ ولا حَسْرَة ذَهَبَتْ.

وقبل المغادرة

أُخْتَاه

الخيرُ فيك مأمولُ..... واللقاء معك بعونه سُبْحَانه موصُول..

وفي نهاية هذا الكتاب

أُذَكّرُك بمولاك سبحانه

أنفسٌ هو واهِبُها.. وأموالٌ هُو رازقها... وأعضاءُ هو خالقُها

ثم يعطينا ربّنا الجنة.

نعمت الصفقة الرابحة.

أُخْتَاه أُذَكِّرُك:

عُمْرُنا محدود،

وَعَملُنا مكتوب،

وأيامُنا لا تعود.

فانهضي

فلقد أضَعْنا السّاعات.

وارتكبنا الذّنوب والحماقات.

وما قَدْ مَرّ يكفينا.

وهَا هُو

الحقّ ينادينا:

هل أَنْتِ أملٌ فنعقدُ عليكِ الآمالُ.. أم أنتِ ألمٌ فتزيدين الآلامَ آلاما..؟

أختاه

حجابك شَرَفُنا... وحياؤك عِمَادُنا..

وفسادُك غاية آمال أعدائنا.

فالله الله في أُمّة الإسلام

فلا تُهْزَمُ مِنْ قِبَلِك

فالكلّ في انتظارك:

داعية خير،

ورسول هدى،

ومنبع فضيلة.

- أسألُ الله سبحانه وتعالى أن يشرحَ لكِ صَدْرك، ويكشفَ عنك ما صدّك عن الحق، ويُقْبلُ بقلبك إلى الهدى والنّور: أَمَةً مسلمةً طائعة، راجيةً ربّها، طامعةً في جوارِ النبيين والصديقين ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر ٥٥].

كما أسأله سبحانه أن يقبل مني هذه الكلمات، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

د/ أشرف عبد الرحمن

مكة المكرمة

ثاني أيام عيد الأضحى المبارك

١٤٣٤هـ

فهرس

❊ ❊ ❊